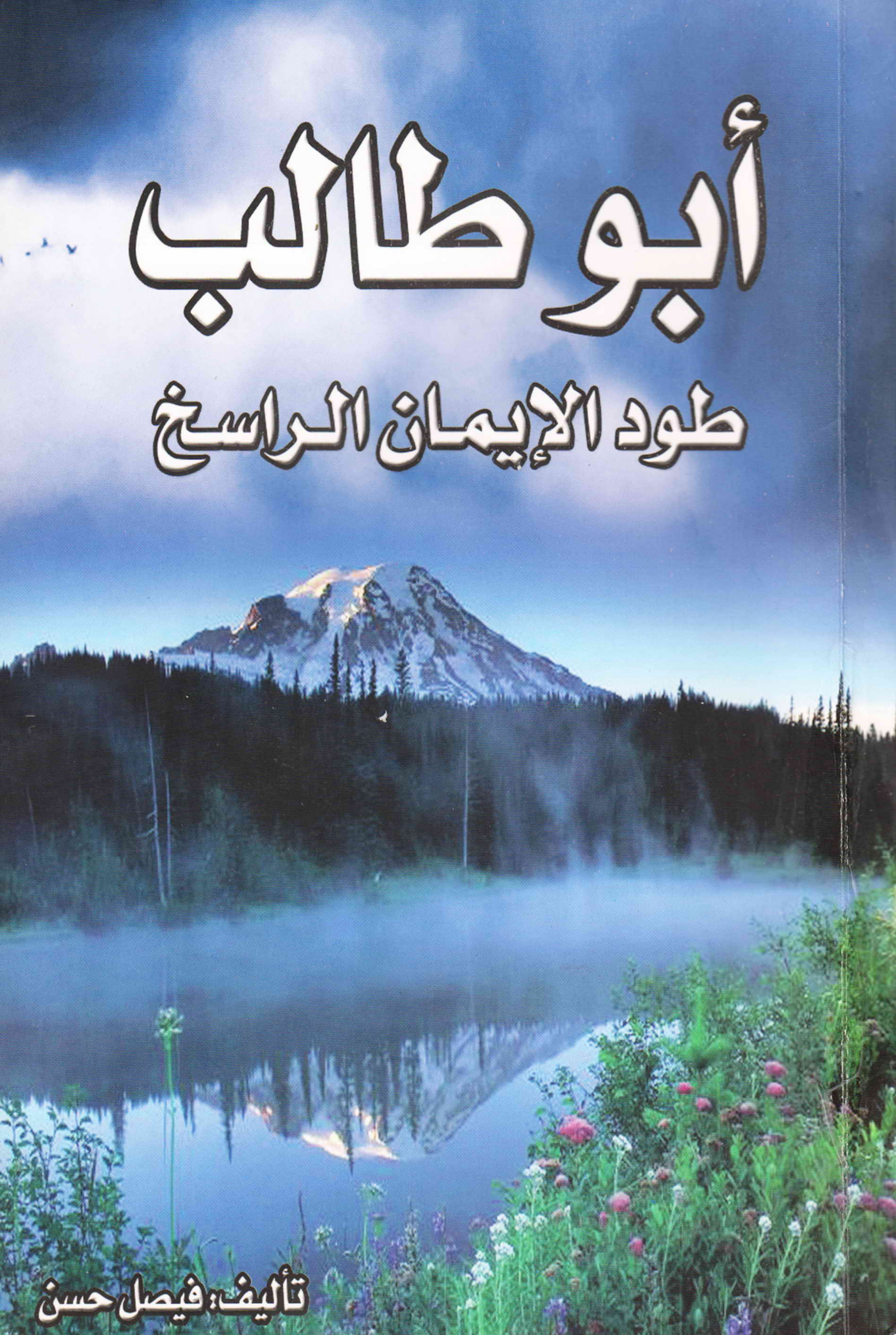


أبو طالب
طود الإيمان الراسخ
تأليف: فيصل حسن

أبو طالب

طود الإيمان الراسخ

تأليف

فيصل حسن



الإهداء

لا عـــذب الله أمى إنهـــا شربت

حــــب الوصى وغـذتنيه بـــاللبن

وكـــــان لى والد يـــهوى أبا حسن

فصرت من ذى وذا أهوى أبا حسن

أهدى ثواب هذا العمل المتواضع

لوالدي ولكل من أعانني على أخراج هذا الكتاب الذي يحمل بفخر أسم أبي طالب عليه السلام

المقدمـــة

طوبى لمن كان هدفه اللّه جل وعلا في كل شيء .. عندما يمشى عندما يفكر عندما يقرأ ، عندما يكتب ..

من كان هدفه اللّه .. ربحت تجارته وإن أدقع في الفقر.

وعندما نبحث عن رضاه جل وعلا، نجده في رضا من أشار إليهم، وحبه في حب من أشار إليهم فرضا اللّه في رضا رسوله ﷺ.

وحب اللّه جل وعلا في حب رسوله ﷺ ومن يحبه الرسول ﷺ كأهل بيته الأطهار كما أشار الرسول ﷺ "أحب اللّه من أحب حسينا" وكذلك عندما قال:" أن اللّه يرضى لرضا فاطمة ويغضب لغضبها " .

وكذا " من سب علياً فقد سبني ومن سبني فقد سب اللّه " .

فمن يؤذي رسول اللّه ﷺ في أحد من أحبته فقد آذى اللّه جل وعلا ورسوله ﷺ وأستحق بذلك عذابه .

كما جاء في كتابه العزيز " **والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم ..**" (سورة التوبة آية ٦١)

والغيرة على رسول اللّه ﷺ وأحبته هي غيره للّه، واللّه غيور يحب الغيور وقد كان منشأ هذا الكتاب هو الغيره للّه ورسوله بالغيرة على عم رسول اللّه ممن أساء إليه .

فإذا كنت ممن صدق ما قيل زوراً في عم رسول اللّه ﷺ

فاقرأ هذا الكتاب .. قربة إلى اللّه تعالى .. وبنيه خالصة، وكن حراً ولا تكن عبد غيرك.

فإذا استفدت من هذا الكتاب فأسألك الدعاء والسلام .

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الصدق بوابتنا للحقيقة

بالصدق عرفنا رسول الله ﷺ بأنّه رسول الله، ولأنّه صادق أمين واشتهر بذلك بين كل قومه، فقد صدّقناه وقد استدل ﷺ بذلك عندما جمع قومه وسألهم بأنه لو أخبرهم بأنه خلف هذا الجبل عدواً، فهل سيصدقونه؟ فكان جوابهم بالإيجاب؛ إذن فكل ما سيخبر به هو حق وسيكون حجة؛ لأنّه صادق، فمبدأ الصدق مبدأ عظيم، ومن خلاله ثبتت الحجة علينا بأنه رسول الله ﷺ وأن كل ما جاء به هو من الله سبحانه وتعالى.

والصدق - في الوقت ذاته- مبدأ خطير جداً، فلو صدقنا أي شخص يدعي الصدق دون تثبت، أو اعتمدنا على الآخرين فسوف نقع في أشد المخاطر وسوف نسلك المتاهات المهلكات، إذن علينا أن نكون في غاية الحذر من أن نكون بسطاء سذجاً نصدق كل ما يقال لنا فنصدق عكس ما قاله لنا الصادق الأمين فنكون كأننا لم نصدقه، ولم نصدق ما جاءنا به من كتاب الله العزيز، وبهذا نكون قد رجعنا إلى التيه مرةً أخرى، بل يجب أن نرفض كل ما جاء من أخبار تتعارض مع ما جاء به الصادق أياً كان المصدر، فلئن نكذب أي إنسان عادي أسهل من أن نكذب الصادق الأمين.

وكذلك لو جاء ما يُنقص من قدر الصادق الأمين على لسان من يدعي الصدق فمن السهل علينا أن نكذبه وذلك أهون من أن نقبل ما ينقص من قدر ومكانة ومنزلة نبينا العظيم.

فلو أخبرنا شخص جليل القدر، عالم، فاضل، بما يقلل من قدر نبيناﷺ فلو قلنا بكذبه تثور علينا ثائرة محبي هذا العالم لكن ذلك أسهل من تصديق ما جاء به بما ينقص قدر نبيناﷺ.

وأظن أن الكل يقبل هذا المبدأ، وأنت أيها المسلم الغيور أظنك أول من يقبل بذلك، لكن مهلاً، هل جربت نفسك وامتحنت وجدانك في تصديقك خبر ما؟

فهل أنت حر في تصديق الخبر أم أنك لا تملك خياراً أمام ما يقوله فلان وفلان وتلك الجماعة وهاتيك الملّة؟

اختبر حريتك الفكرية، أنتبه قد تقول قد وردت في ذلك روايات أو حديث في كتاب صحيح وتنسى أن الله قد تكفل بحفظ القرآن من التحريف: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[1] لكن هل ورد ما يدل على حفظ كتب الحديث المتداولة بين المسلمين؟

قد تقول هناك قواعد تضمن صدق هذا الحديث من ذاك، لكن ما تقول لو تعارض ذلك مع القرآن نفسه؟

فإذا لم تقبل هذا المنطق تكون قد وقعت في محذور الخشية من

---

(١) سورة الحجر: ٩.

تكـذيب شـخص ما، وعدم الخشية من تكذيب الصادق الأمين، وتخشى أن تنـتقص مـن شـخص عادي ولا تخشى أن تنتقص من شخص الرسول، انتبه فأنت على المحك الذي يكشف المعدن الثمين من غيره.

ماذا قال الجليل سبحانه وتعالى عن أخلاق رسول الله ﷺ؟

وعـندما يـتكلم الله سـبحانه فأنـه أصـدق القائلين فقد قال الله في كتابه قولاً فصلاً جلّياً عن رسوله ﷺ ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1].

عندما يقول الله سبحانه عن شيء أنّه عظيم فهو عظيم. بعين الله فتصور مـاذا يكـون وبـأي درجـةٍ مـن العظمـة، وعـندما نعلـم أنّ الرسـول هـو سيد المرسـلين وأفضل المرسلين، ونعلم ما كان رُسل الله عليه من عظيم الأخلاق وأن الرسول سيّدهم فإنّ خلقه أعظم من خُلق كل الأنبياء والمرسلين.

إن الله سـبحانه احتـرمه أشـد الاحتـرام فلـم يناديه باسمه كبقية الأنبياء أبداً، بل جاءت مناداته بـ(أيها النبي) و(يا أيها الرسول).

قـبل أن نـبدأ بهـذه الـنقطة فلنلقـي نظرة بسيطة موجزة ونبذة مختصرة عن أخلاق النبي العظيم ﷺ.

إنّ الله اصـطفى من خلقه مجموعة على قدر عال من الصفات الخلقية والنفسـية، وهـم سادة الخلق وهم والأنبياء، ثم اصطفى أعلاهم قدراً ومنزلته وهـو خـاتم الأنبـياء محمـد ﷺ وهم قمة القمم في كل شيء، في الصفات الخلقية والنفسية وكون العرب تسميه الصادق الأمين فهذا ليس أمراً هيناً، إذ

---

(١) سورة القلم: ٤.

أنّ الإنسان لا يوصف بصفة معينة من خلال بعض الحالات التي تصدر منه، وإنما لملازمة الحالة له بشكل دائم وهذا يعني أن رسول الله محمدﷺ كان قطعة من نور تمشي على الأرض تلفه هالة من العظمة والسمو في جميع جوانب شخصيته الكاملة حتى هال بريقه الساطع قريش فاشتهر بينهم بشكل جعل صدور أي نقيصة في حقه ضرباً من المستحيل عند صاحب أدنى عقل فيهم.

بعض القصص التي تدل على سمو خلق الرسولﷺ .

جاء إعرابي ودخل على رسول اللهﷺ وجرّ النبي من ملابسه إلى درجة أن ثوبه أثر في عنقه الكريم، فهجم عليه أصحاب النبيﷺ فمنعهم وكلّمه بكل رقة وقضى حاجته.

ومن خلقه أنه إذا صافحه أحد لا يترك النبي يده حتى يترك الآخر هو يد النبي، وكان يعين الخادم في طحن الحنطة إذا أعيى.

أظنك أيّها المسلم الغيور عرفت ما أريد أن أقول!!

هل تقبل أن يقال عن نبيكﷺ: أنّه عندما جاء ضرير فقير يريد أن يتعلم منه عَبَسَ وَتَوَلَّى في وجهه، قف أيها المسلم الغيور وأغلق الكتاب وتأمل مع نفسك وأطرح هذا السؤال على نفسك ألف مرة: لو كنت أنت مكان الرسولﷺ وجاءك أعمى ضرير فقير يريد أن يتعلّم، فهل كنت ستعبس في وجهه وتصد عنه؟ قف وتأمل أرجوك قف وتأمل وأجب هل تتوقع ذلك مجرد توقع من نفسك أن تعامل فقيراً ضريراً بأي سوء وأمام مرأى الناس؟ وأظن أنّ أي إنسان حتى لو كان ذا خلق عادي لا يُقابل

ضريراً بهذا السوء، إذ أنّ الضرير دائماً محط عطف الناس، ولو سمح أحد لنفسه عكس ذلك فالحياء يمنعه من أن يراه الناس يعامل ضريراً فقيراً بسوء ولنترك العبوس جانباً، إذ أن هناك معنى آخر أخطر منه وهو خيانة الأمانة في إرشاد من يريد الإرشاد والإقبال على صاحب الثروة!!

أهذا الذي يقول القرآن عنه: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾[١] يمكن أن يعبّس بوجه فقير بائس؟

عن أي عظيم نتكلم ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَنْ جَاءَهُ الأَعْمَى * وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى * أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى * أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى * فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى * وَمَا عَلَيْكَ أَلاَّ يَزَّكَّى * وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى * وَهُوَ يَخْشَى * فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى * كَلاَّ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾[٢]؟

وهنا لابدّ لنا أن نقف عند هذه الآية وتفسيرها إذ ذكرناها على سبيل المثال في موضوع الصدق والتصديق، ثم نعود لأصل الموضوع بعد بيان الآية وأخذ العبر من التفسير الصحيح وغير الصحيح.

التفسير الصحيح

لقد عبس عثمان بن عفان، أي قطّب وجهه وتولّى أي أعرض عن الأعمى ابن أم مكتوم عندما جاء مجلس الرسول ﷺ فجمع عثمان بن عفان نفسه مستنفراً منه وأعرض بوجهه عنه.

---

(١) سورة النجم: ٨- ٩.

(٢) سورة عبس: ١- ١١.

وبعد أن وصفت الآية الحالة، يتوجه القرآن بالخطاب المباشر (وما يدريك) قاصداً عثمان، أي ما يدريك يا عثمان لعله يكون طاهراً زكياً يتعظ فتنفعه الذكرى، أي الموعظة، أما من استغنى أي الغني بالمال فأنت له تصدى (أي تقبل عليه) وما عليك إلا يزكى (أي لا تهتم في أنه غير طاهر، وأما من جاءك يسعى طالباً للخير، وهو يخشى الآخرة فأنت عنه تلهى، (أي تتشاغل ولا تهتم بشأنه، والآيات في معرض الإنكار فلا تكن هكذا، أنها أي سورة تذكرة (أي مذكره) فمن شاء ذكره (أي اتعض).

قد يقول قائلاً: إن هذا التفسير يريد أن ينتقص من شأن عثمان وغاب عنه كيف لا يقبل على عثمان ما قبله عن رسول اللهﷺ.

التفسير الخاطئ

فهو ببساطة أنّ هذا المعنى في الآيات هو رسول اللهﷺ والعياذ بالله.

نعم، نقول: أن من نقل لنا هذا المعنى المرفوض جملة وتفصيلاً نقول: بأنّه خاطئ خير لنا من أن نقول: إنّ رسول الله خاطئ.

لو فرضنا - جدلاً- بأن رسول اللهﷺ قابل شخصاً ضريراً بهذه المقابلة السيئة المذكورة في الآيات السابقة واستقبل الأغنياء بترحيب وكان ذلك قبل أن يدعو الناس للدين وسمعت العرب بذلك، فهل كانت ستؤمن بأنّه الصادق الأمين؟ وهل كانت ستصدقه في الأمور الغيبية؟ هل تصدق أيّها المسلم الغيور - دون الرجوع إلى أي كتاب حديث- أن نبيك بهذه الأخلاق وبهذه النفسية، فإذا صدقت فكأنك تصدق من يقول لك أن الرسول غير صادق وأنه كاذب والعياذ بالله، لأن الثقة ليس بثقة عندما ينقل

لنا خبراً يطعن بمن شهد له القرآن بسمو الأخلاق وعظيم الأدب، ولا أحسب أنّ الله يصفُ شخصاً بأن خلقه عظيم وفيه ما يخلّ بتلك الدرجة، دع صورة رسول الله ناصعة بيضاء زكية في ذهنك، أليس القرآن يفسر بعضه بعضاً كما في الخبر، ما معنى ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1] وقال ﷺ: **«أدبني ربي فأحسن تأديبي»**.

حُكي أن رسول الله ﷺ - عليه وعلى آله أفضل الصلاة وأزكى السلام - اشترى فرساً من شخص فأنكر على رسول الله ﷺ، وإذا بخزيمة بن ثابت يشهد لرسول الله ﷺ أنّه اشترى الفرس فبهت ذاك المنكر على رسول الله، لكن رسول الله بعد ذلك يسأل خزيمة بن ثابت الذي شهد ولم يكن حاضراً: ما حملك على الشهادة، ولم تكن معنا؟ فيجيب خزيمة صاحب البصيرة الثاقبة واليقين الراسخ بجواب بسيط بساطة الحقيقة الناصعة عميق عمق الإيمان الصادق، جواب قد لا تجده عند كثير من المدعين الإيمان: ﴿قَالَتْ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾[2] جواب خزيمة هذا نهج ورسالة وحكمة يحتاجها الكثيرون ممن قرأوا المجلدات وألفوا الموسوعات جواب ينبع من نفس مؤمنة صدقت رسول الله تصديقاً يجعلها تبذل الروح وتنتظر الغيب كأنه اليقين ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ

---

(١) سورة القلم: ٤.

(٢) سورة الحجرات: ١٤.

بِالْغَيْبِ﴾[١].

قال خزيمة في جوابه للنبي المصطفىﷺ:

(صدقتك بما جئت به وعلمت أنك لا تقول إلا حقاً).

فاستحسن ذلك رسول اللهﷺ واعتبر شهادة خزيمة بعد ذلك بشهادتين فلُقب بذي الشهادتين وصارت شهادته عند المسلمين بشهادتين.

قال رسول الله: من شهد له خزيمة أو عليه فحسبه. والرواية كما يذكرها ابن الأثير في كتابه أسد الغابة في معرفة الصحابة ج٢، ص١١٤:

(أن النبيﷺ اشترى فرساً من سواء بن قيس المحاربي، فجحده سواء، فشهد خزيمة بن ثابت للنبيﷺ فقال له رسول اللهﷺ ما حملك على الشهادة ولم تكن معنا حاضراً، قال: صدقت بما جئت به وعلمت أنك لا تقول إلا حقاً، فقالﷺ من شهد له خزيمة أو عليه فحسبه).

والغريب في الأمر أن نصدق كلاماً ظالماً في حق سيد الخلق نأخذها ممن تكررت منه الأحاديث الخاطئة غير الصحيحة عقلاً ومنطقاً ويخجل كل ذي عقل أن يصدقها أو حتى يحتمل صدقها وتصديقها خيانة لله ورسوله، وقد يدخل من صدّقها بالشرك الخفي أو الكفر الصريح، أو بالعقيدة الخاطئة أو السفيهة أو ما شابه ذلك، فمثلاً:

١) أخرج الشيخان من طريق عبد الرزاق عن معمر عن همام عن أبي هريرة، قال: قال النبيﷺ ... إلى أن قال: قال الله تعالى للجنة أنت

---

(١) سورة البقرة: ٢-٣.

رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي وقال للنار: إنما أنت عذاب أعذب بك من أشاء من عبادي ولكل واحدة منهما ملؤها فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع الله بها رجله فتقول قط قط فهناك تمتلئ ويزوي بعضها إلى بعض[1].

أنتبه أخي المسلم: لقد قال الله في كتابه العزيز: ﴿قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾[2] فجهنم سيملأها الله من الشياطين واتباعهم من العصاة فما الحكمة من أن يضع الله رجله والعياذ بالله في جهنم حتى تمتلئ. ثم كيف نعتمد على أخبار من ينقل تلك الأحاديث في إحقاق الحق؟

انظر إلى عظمة الآيات القرآنية وعلو شأنها وانظر كيف يصف الله نفسه في القرآن جل شأنه ثم قارن ذلك بذاك الكلام السابق: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[3] وآية الكرسي العظيمة، و﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِه وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِه﴾[4].

---

(١) البخاري، تفسير سورة ق، ج٣، ص١٢٧. وأخرجه مسلم، ج٢، ص٤٨٢.

(٢) سورة الأعراف: ١٨.

(٣) سورة النور: ٣٥.

(٤) سورة الزمر: ٦٧.

حديث عن عظمة الله حسب القرآن وروايات أهل البيت عليهم السلام ومن نهج البلاغة

من صفات الله عز وجل يقول الإمام علي عليه السلام: «الأحد لا بتأويل عدد، والخالق لا بمعنى حركة ونصب، والسميع لا بأداة، والبصير لا بتفريق آلة .... من وصفه فقد حدّه، ومن حدّه فقد عدّه، ومن عدّه فقد أبطل أزله، ومن قال أين فقد حيّزه .....» الخ.

وفي خطبة رقم ٨٩ قال: «.... ولا تقدر عظمة الله سبحانه على قدر عقلك فتكون من الهالكين»، ويخاطب ربه: «وأشهد أن من ساواك بشيء من خلقك فقد عدل بك والعادل بك كافر بما نزلت به محكمات آياتك....».

إن الله عظيم ومن عظمته أنه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[(١)] ﴿لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ﴾[(٢)] ﴿قَالَ لَنْ تَرَانِي﴾[(٣)].

٢) هل تصدق أخي المسلم أن الله يقول لأحد العصاة أذنب كما شئت فقد غفرت لك؟ إلا يكون ذلك مدعاة لأقتراف الذنوب والتهاون في طاعة الله وعدم خشيته؟ ألم يقل الله في كتابه العظيم ﴿وَلَيْسَتْ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمْ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ

---

(١) سورة الشورى: ١١.

(٢) سورة الأنعام: ١٠٣.

(٣) سورة الأعراف: ١٤٣.

الآنَ وَلاَ الَّـذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾[١].

وقـال جل وعلا: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ * لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ * فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾[٢].

بيـنما نجـد حديـثاً عجيـباً ينقله أبو هريرة حيث يقول: (أذنب عبد ذنباً فقـال: اللهـم أغفـر لـي ذنبـي، فقـال الله تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنباً فلم يعلـم أن لـه ربـاً يغفر الذنب، ويأخذ بالذنب، فقال: ثم عاد فأذنب، فقال: أي رب أغفر لي ذنبي، ثم عاد فأذنب فقال: أي رب أغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: أذنب عبادي ذنباً فعلم أن له رباً يغفر ويأخذ بالذنب، أعمل ما شئت فقد غفرت لك)[٣].

وأتـرك لـك أيهـا القـارئ الكـريم التعليق والحكم على هذا الحديث، فقط أقول أليس حرياً بمن ينقل هذه الأحاديث أن يتروى ويتأنى.

قـد يقول البعض أن شيوخ الصحاح والرواة قد تحققوا من الأحاديث وفق قواعد تضمن صحة الروايات ولا ينبغي أن نخضع الرواية بعدهم للعقل والتفكيـر والتمحيـص، فـنقول لهـم: إن الله قـد دعانا في القرآن العظيم مراراً وتكـراراً إلـى التدبـر والتفكـر والتأمل ﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾[٤] ﴿لآيَاتٍ

(١) سورة النساء: ١٨.

(٢) سورة الحاقة: ٤٤- ٤٧.

(٣) مسلم، ج٢، ص٤٤٥.

(٤) سورة النساء: ٨٢

لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾(١) ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾(٢) ﴿أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾(٣).

ثم أن هناك دعوة من العقل والنقل لأن نضرب كل ما يخالف القرآن عرض الحائط، لأن القرآن هو الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

ثم بعد الكلام عن نص الحديث ووجوب عدم تصديقه إذا عارض العقل والقرآن لننتقل إلى موضوع الراوي نفسه ولنتدبر ولنتحقق منه من عدة جوانب شخصية وتاريخية ومنطقية لنكون في مأمن على حريتنا الفكرية فلا نسمح لأحد بمصادرتها ولا نسلّم عقولنا إلا لله ولرسوله، أما غير هؤلاء فيجب أن نكون على أشد الحذر منهم، إذ في المسألة دين وآخره ومصير لا يمكن التهاون فيه وقد قال الحق جل شأنه الذي هو أرحم الراحمين على البشر وأكثر حباً لهم من أمهاتهم وهم في مهدهم، قال جل شأنه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾(٤).

لا محاباة في الدين، ولا محاباة في العقيدة، ولا محاباة في المصير، ولا نريد له أن يكون إلى سوء أو إلى مجهول فالفرصة واحدة لن تتكرر، إذ

---

(١) سورة الروم: ٢٤.

(٢) سورة الأنعام: ١٢٦.

(٣) سورة محمد: ٢٤.

(٤) سورة التوبة: ١١٩.

بعد الموت حساب ولا عمل ولن نُرجع مهما كررنا ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾[١].

لنعود إلى موضوعنا، إذ ذكرنا بعض الأحاديث المروية عن أبي هريرة كأمثلة فلنستعرض بعض الجوانب لهذه الشخصية بشيء من الإيجاز كمثال لموضوعنا.

أسلم أبو هريرة في السنة السابعة للهجرة النبوية باتفاق أهل الأخبار بعد فتح خيبر فكانت صحبته للنبيﷺ ثلاث سنوات كما صرح أبو هريرة بنفسه في حديث أخرجه البخاري[٢].

فكم ينبغي أن يروي من الأحاديث من حيث الكم؟ أنت أيها القارئ تأمل وفكر وتوقع! هل من الممكن أن يروي أحاديثاً أكثر من الخليفة الأول أو الثاني أو الثالث أو الرابع أو أكثر من إحدى زوجات النبي أو من أحد الهاشميين أبناء عمومته الملاصقين له؟!

فما قولك لو علمت أنه روى أكثر من الخليفة الأول وأكثر من الخليفة وزياد الثاني وأكثر من الخليفة الثالث وأكثر من الخليفة الرابع، وأكثر من زوجات النبيﷺ واحدة بعد أخرى وأكثر من أي أحد من الهاشميين لكن ما تقولونه يا ذوي الألباب إذا علمتم أنه في ثلاث سنوات روى أكثر من مجموع ما رواه أولئك الذين ذكرناهم مجتمعين، مع تأخر

---

(١) سورة المؤمنون: ٩٩- ١٠٠.

(٢) باب علامات النبوة في الإسلام، ج٢، ص١٨٢.

إسـلامه عـن الخلفـاء الأربعـة وحضـورهم فـي مسرح الأحداث خلال (٥٢) سنة، وبملازمتهم للنبيﷺ خلال (٢٣) عاماً[(١)]!!

فقـد أورد الخلفاء الأربعة (١٤١١) حديثاً، بينما روى أبو هريرة وحده (٥٣٧٤) حديثاً، وهل انتهينا؟

لـم ننته بعـد، فقـد روى أبـو هريـرة قـال: حفظت عن رسول اللهﷺ وعاءين فأما أحده فبثته، وأما الآخر فلو بثته قطع هذا البلعوم[(٢)].

وقـال: لـو حدثتكم بكل ما في جوفي لرميتموني بالبعر، وقال: يقولون أكثـرت يـا أبـا هريـرة والـذي نفسـي بيده لو حدثتكم بكل شيء سمعته من رسول اللهﷺ لرميتموني بالقشع ثم ما نظرتموني[(٣)].

وقـال: حفظت من رسول الله خمسة جرب فأخرجت منها جرابين ولو أخرجت الثالث لرجمتموني بالحجارة[(٤)].

ولـو لاحظـت أخـي القـارئ الكـريم فـي تصـريحات أبي هريرة تجد وتلاحـظ إحساساً بالخـوف عن رفض رواياته من قبل الناس لما تحمله من انعـدام قـبول العقل والمنطق لها ويصرح بأن لديه الكثير منها بل الباقي أكثر من الذي بثه.

---

(١) انظر: تاريخ الخلفاء للسيوطي.

(٢) البخاري، ج١، ص٢٤.

(٣) الطبقات، القسم الثاني، ج٤، ص٥٧.

(٤) أخرجه أبو نعيم من أحوال أبي هريرة، ص٣٨١، في خليته.

ولا ألومه في ذلك فكيف لا يخشى من أن ينقل عن رسول الله أن الله أخبره أن موسى كليم الله ذلك النبي صاحب الكرامات الباهرة والمعجزات الساحرة يلطم ملك الموت فيفقأ عينه لأنه جاءه قابضاً روحه، فيرجع إلى الله أعور العين ولا يستطيع أن يقبض روح موسى وبعد هذه الحادثة صار يأتي عزرائيل متخفياً للناس قابضاً أرواحهم بعد أن كان يأتيهم جهاراً، لا تتعجب، نعم هذه رواية جاءت عن أبي هريرة، والرواية كما جاءت حرفياً هي كما يأتي:

أخرج الشيخان في صحيحهما بالإسناد إلى أبي هريرة قال: جاء ملك الموت إلى موسى عليه السلام فقال له: أجب ربك، قال: فلطم موسى عين ملك الموت ففقأها، قال: فرجع الملك إلى الله تعالى فقال: أنك أرسلتني إلى عبد لك لا يريد الموت ففقأ عيني، قال: فرد الله عينه وقال: أرجع إلى عبدي فقل: الحياة تريد؟ فإن كنت تريد الحياة فضع يدك عل متن ثور، فما توارث بيدك من شعره تعيش بها سنة. الحديث[1].

بماذا يستطيع الإنسان أن يعلق على هذا الحديث وكما يقولون لا تعليق سوى أن يكون الإنسان على حذر شديد مما يقرأ ويسمع خصوصاً إذا كان يمس صميم العقيدة أو يحدد المسار ووجهته، وبأي سفينة ستكون رحلة حياته.

وهنا أعلم أن كثيراً ممن يقرأ هذا الكلام تثور ثائرته غيرة على أبي هريرة لكونه صحابياً، لكن الأجدر بأن تأخذنا الغيرة على أنبياء الله الذين

---

(١) مسلم، ج٢، ص٣٠٩، البخاري، ج١، ص١٥٨، ج٢، ص١٦٣.

مستهم أحاديث أبي هريرة ولتأخذنا الغيرة على عقولنا التي لا نستطيع أن نفقد الثقة بها ونهبط بها إلى مستويات لا يصبح لها بعدها قيمة فالعقل نبي باطن، وبه يثيب الله ويعاقب وبه عرفنا الله وبه أدركنا عظمته ووحدانيته، هذا العقل لابد أن تكون له كلمة ويكون له موقف[١].

فكون الإنسان قد صحب النبي، فعليه أن يكون شديد التمسك بآداب صحبة رسول الله وشديد الاحترام والتبجيل لها فهو تكليف إلى جانب أنه تشريف والصحابة أنفسهم لم يخالفوا هذا الرأي ولم يعتبروا صحبة النبي تنزيه وعصمة ولذلك نراهم ينتقدون بعضهم ويحاربون بعضهم، وهذا الخليفة الثاني نجده يعزل أبا هريرة بعد أن ولاه على البحرين ويتهمه بالاستغلال وحتى أنه ضربه مرة وأدماه.

فقد جاء في الخبر أن الخليفة الثاني ولاه على البحرين سنة ٢١ هجرية، وجاء أيضاً: لما كانت سنة ٢٣ عزله وولى عثمان بن أبي العاص الثقفي[٢]، ولم يكتف بعزله حتى استنقذ منه لبيت المال عشرة آلاف درهم زعم أنه سرقها من مال الله في قضية مستفيضة.

وجاء في كتاب (العقد الفريد) في جزئه الأول: (دعا الخليفة الثاني أبا

---

(١) الكافي، ج١، ص١٠، الحديث: عن أبي جعفر عليه السلام قال: لما خلق الله العقل استنطقه ثم قال له أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر، ثم قال: وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً هو أحبُّ إليَّ منك ولا أكملتك إلا فيمن أُحب، أما أنّي إياك أمر وإياك أنهى وإياك أعاقب وإياك أثيب.

(٢) أسد الغابة، ابن الأثير، ج٥، ص٣٢١.

هريرة فقال له: علمت أني استعملتك على البحرين وأنت بلا نعلين، ثم بلغني أنك ابتعت أفراساً بألف وستمائة دينار، قال: ليس لك ذلك، قال: بلى والله وأوجع ظهرك ثم قام إليه بالدرة فضربها بها حتى أدماه، ثم قال: ائت بها، قال: احتسبها عند الله، قال: ذلك لو أخذتها من حلال وأديتها طائعاً، أجئت من أقصى البحرين يجني الناس لك لا لله ولا للمسلمين؟ ما رجعّن بك أميمة إلا لرعية الحمر[١].

وقال له كما جاء في الطبقات: يا عدو الله وعدو كتابه أسرقت مال الله[٢]؟

وهناك الكثير من الأمثلة حول ما جاء من أحاديث على لسان أبي هريرة تثير غرابة الإنسان الباحث لشدة مناقضتها مع أصول الإسلام ومساوقتها للخرافات.

إذن فمسألة الصدق مسألة جوهرية يجب أن نضعها بمكانة خطيرة جداً لأن فيها مصيرنا في الدنيا والآخرة، تخيل - أخي المسلم- لو أن قرآناً طُبع وبه بعض الأكاذيب، أو به كذبة واحدة أو آية واحدة ليست من القرآن وكان ذلك خطأ فماذا كان سيحدث لو طبعنا من هذا القرآن ملايين النسخ؟

بالطبع سيدب الرعب حيال هذا الخطأ وسيطالب جميع المسلمين

---

(١) أميمة: هي أم أبو هريرة، والمقصود بها شتمه.

(٢) الطبقات، القسم الثاني، في ترجمة أبي هريرة، ج٤، ص٩٠.

بإتلاف كل هذه النسخ حتى إذا بلغت الملايين، وتجاوزت المليارات وذلك خوفاً من دخول كذبة واحدة أو آية خطأ في القرآن الكريم، وهنا أسأل!!

ماذا لو طُبع تفسير لهذا القرآن والتفسير مليء بالأخطاء والأكاذيب وأخذنا هذه الأكاذيب من التفسير على أنها مسلمات وصحيحة، ألا نكون قد وقعنا في محذور يشبه تحريف القرآن؟

فلو جاء مناقضاً تماماً لما أراده القرآن ألا يكون الأخذ بهذا التفسير حرباً على القرآن وحرباً على الله ورسوله.

فمثلاً يقول الله العظيم في كتابه المجيد: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأمر مِنْكُمْ﴾[1] فطاعة أولي الأمر من المسلمين حماية لهم من الوقوع في طاعة الفاسقين والظالمين والذين تسلطوا على رقاب المسلمين بالباطل كما فعل بنو أمية وبنو العباس وغيرهم ليستأثروا بالسلطة لدنياهم وكأن دماء النبي وأهل بيته وأصحابه هدرت كي ينعموا بالملك هم وأبنائهم.

فبينما تجد هذه الآية كانت حماية للمؤمنين من الوقوع في طاعة الظالمين تجد الكثير يفسر هذه الآية على أنها طاعة أي حاكم يحكم وإن كان ظالماً فاسقاً سارقاً، فنكون بذلك ليس فقط لم ندرك الحق وإنما أعنا الباطل ضد الحق.

---

(١) سورة النساء: ٥٩.

فعلينا أن نبحث عن الصدق في الحديث والصدق في تفسير القرآن وإلا سرنا عكس السير الذي أراده الله لنا تماماً فيكون القرآن حرباً على الله ورسوله، والحديث عوناً للباطل وأهله، فمثلاً قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعمار بن ياسر في حديث متواتر لا ينكره أحد: «**يا عمار تقتلك الفئة الباغية**»[١].

حيث أراد رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك أن يبين لكثير من الضالين المغفلين في زمن الحرب بين الإمام علي عليه السلام ومعاوية أن الحق مع الإمام علي عليه السلام، رغم ما بينه رسول الله صلى الله عليه وآله في مواطن كثير من أن الحق مع علي وعلي مع الحق.

ولكن تبقى فئة تحتاج على طول الطريق إلى من يرشدها فعندما استشهد عمار على يد جيش معاوية اتضح للكثير أن الفئة الباغية هي جيش معاوية، وبذلك زال اللبس عن كثير ممن كان مع معاوية وهذا بالنسبة لهم نجاة لكن معاوية وعمرو بن العاص قالا لهم: إن هذا الحديث صحيح لكن الذي أخرج عمار للقتال هو علي بن أبي طالب وبذلك يكون هو وجيشه هم الفئة الباغية!!

وهناك الكثير الكثير من هذه الأمثلة التي توضع للتلاعب بالتفسير والمعاني وهي تشكل بذلك الفتنة التي يجب أن يكون المسلم حذراً منها

---

(١) جاء في كشف اليقين، ص٢٣٤، عن أبي أيوب الأنصاري قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول لعمار بن ياسر تقتلك الفئة الباغية ... الخ. وأخرجه مسلم في الصحيح عن أبي جروة المازني قال: سمعت علياً يقول للزبير: نشدتك بالله أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إنك تقاتلني وأنت ظالم، قال: بلى، ولكني نسيت قوله صلى الله عليه وآله لعمار: تقتلك الفئة الباغية.

والسبيل الوحيد للنجاة هو كلام الله جل وعلا ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾(١).

علينا أن نبحث في الصدق والصادقين، ونجد هنا كلمة يشير بها الإمام علي عليه السلام إلى هذا المعنى بعبارة (ألسنة الصدق) التي جاءت في نهج البلاغة ج١، ص١٥٥.

يقول الإمام علي عليه السلام: **«فأين تذهبون، وأنى تؤفكون؟ والإعلام قائمة، والآيات واضحة، والمنار منصوبة، فأين يتاه بكم، بل كيف تعمهون وبينكم عترة نبيكم وهم أزمة الحق، وأعلام الدين، وألسنة الصدق، فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن وردوهم ورود الهيم العطاش، أيها الناس خذوها من خاتم النبيين صلى الله عليه وآله أنه يموت من مات منا وليس بميت، ويبلى من بلي منا وليس ببال، فلا تقولوا بما لا تعرفون فإن أكثر الحق فيما تنكرون»**(٢).

المشكلة التي لدى البعض أنه يجادل في كل شيء ﴿وَكَانَ الإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً﴾(٣) ويتكلم فيما لا يعرف ﴿هَاأَنْتُمْ هَؤُلاَءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾(٤) ويصدق ما

---

(١) سورة التوبة: ١١٩.

(٢) نهج البلاغة، ص١٢٠.

(٣) سورة الكهف: ٥٤.

(٤) سورة آل عمران: ٦٦.

يحلو له ويمضي ليجنب نفسه عناء البحث وعناء مواجهة المشكلات المترتبة على البحث وعلى النتائج، عجبا لبني آدم تجده يقطع البلاد ويهجر الأهل والعيال ويتحمل السفر والغربة من تعب يصيبه ومشكلات لا حصر لها تصيب الأولاد من أجل لقمة العيش، ولربما اللقمة موجودة في موطنه وإنما ليحسن تلك اللقمة وليحشوها بما لذ، فليكن ولكن ما بال الأهم؟

ألا يتحمل في سبيل غذائه الروحي ومصيره الأبدي عُشر معشار هذا العناء؟!

وقد جاء الحديث أو بما معناه: (أسأل في دينك حتى يتهمك الناس بالجنون) أو عن دينك.

كلكم راع

الكثير من الناس بعيدون عن العلم الحقيقي وليس بمقدورهم الخوض فيه وقد يتعللون بأن هذه مسؤولية العلماء ولا يقع عليهم اللوم وإنما يحمل وزرهم العلماء وهذا القول ليس صحيحاً تماماً.

بـ«كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته» وعلى الإنسان غير المتخصص وغير المتبحر في العلوم الدينية عدة أمور إذا أراد أن يصل إلى الحقيقة:

١) عليه أن يتبع المتواتر من الأحاديث والروايات والتي أجمع عليها كل المسلمين والتي لا يمكن إنكارها والتي هي من البديهيات ولا يجادل فيها - هروباً من الحق- أحد، والأمثلة كثيرة في ذلك، وسوف تأتي أمثلة كثيرة منها في الفصول القادمة.

٢) عليه أن يقبل الحق مهما كان غريباً فالإنسان يعتبر أن ما اعتاد عليه هو الحق وغير ذلك باطل ومضحك ومثير للهزل، فمثلاً: قد يجد غير المسلم ضرب جمرة الشيطان في الحج بالحجارة أمراً سخيفاً مضحكاً بينما عند المسلم أمرٌ مقدس.

وأذكر هنا بالمناسبة مثلاً يوضح هذا المعنى، قال لي أحد المعارف ممن أعرفهم أن حاجاً مسلماً من بلد إسلامي كان يعيش في بلاد الغرب طول حياته وجاء للحج وكان ضمن حملة هذا الشخص المتكلم، ولكن بعد أيام من بدء مراسم الحج بدأ يتذمر ولم تعجبه هذه المناسك وقال أنا تارك تجارتي وعملي من أجل أن أضرب حجارة، وترك الحج ولم يكمل وسافر المسكين - عديم التوفيق - راجعاً إلى بلده بينما على المسلم إذا صدق بنبوة النبي محمدﷺ فعليه أن يصدق كل ما جاء به حتى وإن رآه للوهلة الأولى أنه ليس صحيحاً فذلك لجهله **﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾**[1] **﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾**[2] **﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾**[3].

---

(١) سورة النساء: ٦٥.

(٢) سورة الحشر: ٧.

(٣) سورة الأحزاب: ٣٦.

٣) إخلاص النية والتوجه بإيمانه لله عز وجلَّ بأن يريه الحق حقاً فيتبعه ويريه الباطل باطلاً فيجتنبه مهما كانت النتائج وكن صادقاً مع نفسك، أختلِ بالله وتحدث معه وناجه وتوسل إليه والح عليه في طلبك.

٤) الجد في البحث عن الحقيقة بتجرد دون الكشف عن ما في النفس لأحد دون الله، جاهد في البحث عن الحقيقة والله يقول: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[1] وستجد النور من حلكة الظلام لأن النور من طبيعته أن يكون مضيئاً ويدُرك بسهولة لكل من طلبه، وقد جاء الحق بين، ﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنْ الغَيِّ﴾[2] ﴿يُخْرِجُهُمْ مِنْ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾[3].

٥) إذا وجدت النور وأردت الاستنارة فقد تتعب، وهنا تحمل ما يجري لك كما تحمل أبو ذر، وكما تحمل عمار، ولكن أنظر إلى العاقبة وقيم بنفسك ووازن فهل يستحق الأمر أم لا. وأعلم أن الأمر ليس سهلاً فهو جهاد للنفس، ولوم اللائمين عنيف وشديد إلا على الفئة المؤمنة التي نور الله قلوبهم بالإيمان ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لاَئِمٍ﴾[4]، ولولا

---

(١) سورة العنكبوت: ٦٥.

(٢) سورة البقرة: ٢٥٦.

(٣) سورة البقرة: ٢٥٧.

(٤) سورة المائدة: ٥٤.

شـدة الألـم النفسي الذي يسببه اللوم وفتنة تأثيره لما ذكره الله في هذه الآية وخـص ومدح به المؤمنون الذين لا يخشونه، فإذا خشيته فأعلم أنك لا زلت محتاجاً إلى الإيمـان أكثـر ﴿قَالَـتْ الأَعْـرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾[1].

هذه بعض الخطوات لمن أراد أن يبحث عن الحقيقة الصادقة التي أراد الله أن تصـل إليـنا، وقـد يتخـبط الإنسـان في خضـم التناقضات الموجودة في الساحة العلمية الإسلامية إذا صح التعبير، لكن لابد للإنسان من البحث عن النجاة.

يقـول الإمـام علـي عليه السلام: «**الناس ثلاث، فعالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعاع يتبعون كل ناعق ويميلون مع كل ريح**».

فأختـر أيهمـا تـريد أن تكون، فإذا لم تكن من الصف الأول فلا تكن من الأخير.

البحث عن الحق واستشراف الحقيقة

فـي روايـة معروفة لدى جميع طوائف المسلمين تقول: «**تنقسم أمتي إلى ٧٣ فرقة، كلهم في النار إلا واحدة**»[2].

---

(١) سورة الحجرات: ١٤.

(٢) عـن علـي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**تفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، فـرقة مـنها ناجـية، والـباقون هالكون، والناجون الذين يتمسكون بولايتكم ويقتبسون من علمكم ولا يعلمون برأيهم فأولئك ما عليهم من سبيل**». وسائل الشيعة، ج٢٧، ص ٥٠.

وهـذا الحـديث يحـتاج إلـى الكثيـر مـن الـتأمل والتفكـر ليتسـنى لـنا الاستفادة.

أولاً: غريب هذا الحديث، وغريب لغرابة الإنسان الذي يرى الحق ثم يـذهب هـنا وهـناك حتـى يصير إلى ٧٣ فرقة كلها تركت جادة الحق وتريد الباطل إلاَّ فرقة واحدة، لماذا؟

ألهـذه الدرجـة الحـق مبهم، لهذه الدرجة هذا الدين وهذا النبيﷺ وهـذا الإلـه جل وعلا يتركون الناس يذهبون إلى الجحيم والعياذ بالله **﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾**[1].

ألهـذه الدرجـة الدين غامض، لا، لا أبداً فالله يقول: **﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنْ الغَيِّ﴾**[2].

إذا لمـاذا ٧٣ فـرقة تـؤمن بـالله وتصـلي وتحـج وتقوم هباءً منثوراً، ٧٢ فـرقة درسـوا واجتهدوا بالله وجاهدوا وعملوا هذا وجوباً، وتركوا هذا حراماً وتحملوا في ذلك الجهود والحرج، وبعد ذلك إلى النار!!

إذن لابد أن نعرف أن المقصر هو الإنسان ولكن كيف؟

الله جـل وعـلا يقـول: **﴿وَمَـا ظَلَمْـنَاهُمْ وَلَكِـنْ كَانُـوا أَنفُسَـهُمْ يَظْلِمُونَ﴾**[3] ولنعرف أن الله يريد من الإنسان الطاعة.

---

(١) سورة الإسراء: ١٥.

(٢) سورة البقرة: ٢٥٦.

(٣) سورة النحل: ١١٨.

وهذا إبليس عَبَدَ الله آلاف السنين وصار نتيجة جهده إلى النار أراد أن تكون عبادته كما يريد هو عندما اعترض على الله بعدم سجوده لآدم ﴿أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً﴾[1]. وليس من حق المخلوق الاعتراض على الله ﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ﴾[2] وقال له الله ﴿قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُوماً مَدْحُوراً لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾[3].

وكذلك المسلم لا يحق له أن يعترض على الله ورسوله ولا بمقدار ذرة، فالإسلام هو التسليم الكامل، ولكن كيف والمسلمون على هذا الكم من الاختلاف، لو فرضت أنني أسلمت، وأرى هذا الحديث فإن أول سؤال سأسأله نفسي بعد أن أسلم بالله ورسوله هو من أي المسلمين سأكون وأي فرقة أختار؟

فيجب الحذر وإلا لا فائدة من إسلامي، وسأكلف نفسي، ومصيري بعد ذلك إلى النار وأذكر هنا قصة سمعناها من السابقين: أن شخصاً دخل ضيفاً على شخصية مهمة في شهر رمضان فرآه على سفرة الطعام في غير مرض أو عذر فتعجب فسأله عن السبب فأجاب الفاطر بأنه لا فائدة من صيامي وأنا أعرف أني في النار لأن نهجي غير صحيح، وأنا أعرف ذلك

---

(١) سورة الإسراء: ٦١.

(٢) سورة الأعراف: ١٣.

(٣) سورة الأعراف: ١٨.

فلماذا عناء الصوم!!

والسبب لأنه لا يريد أن يتبع الحق لأن الحق يُكلفه بتكاليف باهضة قد تكون في حياته أو جاهه أو سعادته الدنيوية.

نعم، اتباع الحق ليس سهلاً دائماً فقد يكلفه كما كلف عمار بن ياسر أباه ياسر وأمه سمية، وقد يكلف كما كلف مصعب بن عمير ذلك الابن المدلل الثري الذي خرج من عزه الظاهري إلى حياة أفقر الفقراء، وقد يكلف كما كلف الكثيرين ممن فقدوا حياتهم وأسرهم وعيالهم، وذاقوا أصناف وفنون التعذيب الجسدي والنفسي على أيدي الظلمة على مر العصور.

إذاً لابد من التجرد من كل شيء عند اختيار الطريق الصحيح، التجرد من المصالح المادية والاجتماعية والعائلية **﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾**[1] والتجرد من خوف ملامة المحيط الاجتماعي والأصدقاء والمعارف **﴿وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ﴾**[2] والنظر فقط وفقط إلى ما يرضي الله وليكلف بعد ذلك ما يكلف وليتوجه لله بهذه الحال وكأنه يقول:

فيا ليت بيني وبينك عامر ... وبيني وبين العالمين خراب

وكأنه يقول:

---

(١) سورة الزخرف: ٢٣.

(٢) سورة المائدة: ٥٤.

تـركت الخلـق طـراً فـي هـواك ... وأيـتمت العـيال لكـي أراك

فلـو قطعتنـي فـي الحـب إربـاً ... لمـا حـن الفـؤاد إلـى سـواك

نعم الناجي فقط فرقة واحدة، لماذا؟

لأن طريق الله واحد وصراطه المستقيم واحد، ولنعرف من خلال هذا الحديث الكم الهائل من الفرق التي يبتلي بها المسلمون والتي تتجه بهم شرقاً وغرباً وكل يصيح أنا صاحب الحق وتقوم المدارس لكل فرقة وتصرف الجهود والأموال والأعمار ويتبحر كل واحد منهم علم القرآن والحديث والتفسير.

وتقوم الحروب والنزاعات عصوراً ودهوراً وكل ذلك هباءً منثوراً!!

لماذا هذه الخسائر؟

أين رحمة الله؟! **﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنْ الْمُحْسِنِينَ﴾**[1].

ألـم يقل الله عز وجل **﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾**[2].

يقرؤون هذه الآية، وكل يقول لست أنا المقصود والمعني بهذه الآية، بل الآخرين الله سبحانه رحيم، ومن رحمته أنك تجد الإرشاد والتوجيه في كل زاوية من زوايا القرآن، وعلى لسان رسول الله من أول حياته حتى آخر لحظة! ولكن لو أراد الإنسان أن يهتدي **﴿بَلْ الإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ***

---

(١) سورة الأعراف: ٥٦.

(٢) سورة الكهف:١٠٣- ١٠٤.

وَلَـوْ أَلْقَـى مَعَاذِيـرَهُ﴾[١] تمسك بالعروة الوثقى تنجو ﴿فَمَـنْ يَكْفُـرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾[٢].

كن صادقاً مع نفسك وأبحث عن الحق تجده بعون الله ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[٣]، واستعن بالله وبعباد الله الصادقين؟

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[٤] وأبحث الحق عند من يفكر بالله ولا شيء سوى وجه الله بحيث لو تركته لا يكترث سوى لمصلحتك الأخروية فقط وفقط، لا مصالح ولا أرقام ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾[٥].

أطلب الله بقلب صادق يهديك الصراط المستقيم ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾[٦] وسنمر إنشاء الله على هذه المعاني في فصول متقدمة أخرى لنعرف من هم الصادقون.

ومن هم الذين يريدون وجه الله؟

---

(١) سورة القيامة: ١٤- ١٥.

(٢) سورة البقرة: ٢٥٦.

(٣) سورة العنكبوت: ٦٩.

(٤) سورة التوبة: ١١٩.

(٥) سورة الكهف: ٢٨.

(٦) سورة الفاتحة: ٦.

ومن الذين جاهدوا في الله؟

وما هي العروة الوثقى؟

وما هو الصراط المستقيم؟

لابد لنا من التفكير بإمعان والتدبر ملياً لأن وجودنا في هذه الحياة وفوق هذه البسيطة نعمة عظمى، إذ نملك حرية الاختيار وغداً عما قريب وقد لا يظهر علينا الغد لنكون في باطنها وليس هناك إلا الحساب والعقاب، إنه المصير المحتوم ويستحق منا التفكير، حتى لا نكون من الأخسرين أعمالاً وكنا طوال حياتنا نحسب أننا كنا نحسن صنعاً.

جوهر الموضوع

قبس من أبو طالب وعبد المطلب

ما سلف من هذه الصفحات كان مقدمة لموضوع في غاية الأهمية وغاية في الخطورة والجدية، الموضوع يتصل بالخالق العظيم من خلال نبيهﷺ وكل ما يتصل بالنبي العظيم فهو أمر عظيم وعظمته في النهاية هي من عظمة الله وعظم شأنه جل وعلا.

نريد أن ندرس أحد أعمام النبيﷺ وهو العم الذي كان له تأثير على حياة النبي ودعوته ودينه وتبليغه رسالته، عم كان رسول اللهﷺ يستند إليه فكان الدرع الواقي له من أخطار قريش عليه وعلى دعوته.

وسوف نسلط الضوء في البداية على أصله وحياته بما احتوته من حقائق وأحداث ثم نتطرق إلى ما قيل عنه؟ ولماذا؟ مع تقييم لهذه الأسباب.

وما هو موقفنا تجاه هذه الحالة والأسس التي تعتمد عليها في الدراسة والتقييم والمسؤولية.

وعم النبي هذا هو أبو طالب ابن عبد المطلب، ويكفي إلى هنا لأنه بعد ذلك سيكون النسب هو نسب النبيﷺ فعبد المطلب هو جد النبي ووالد أبي طالب، وأبو طالب هو ذاك الابن الذي ترعرع في ظل أبيه عبد المطلب سليل خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام.

وعماد الأسرة الهاشمية العظيمة والذي حافظ على سلامة عقيدته (الحنيفية البيضاء) التي جاءتهم من ملة أبيهم إبراهيم عليه السلام القائمة على التوحيد والبعيدة عن ظلمة الشرك التي كانت تكتنف قريشاً آنذاك؛ لذا نرى عبد المطلب يقوم في حياته على تعاليم جده الخليل فيحرم الخمر ويحرم نكاح المحارم ويحرم الزنا وينهى عن الطواف عراة ويحدد الطواف بالبيت بسبع مرات بعد أن كان غير محدد، ويقطع يد السارق وينهى عن الوأد والاستقسام بالأزلام وأكل ما ذبح على النصب، والوفاء بالنذر[1].

ويأتي الإسلام فيقر كل هذه السنن التي أقرها عبد المطلب وأبو طالب ذو العقل السديد والرشيد في سلوكه وتصرفاته والمعروف بحكمته يرى ويشاهد كل هذه الأمور، ويشاهد ابرهة الحبشي يأتي بجيش جرار ليهدم الكعبة ويسمع كلمات أبيه المؤمن يقول بكل ثقة أن (للبيت رب يحميه) لم يلجأ إلى هبل وأقرانه كما تفعل قريش، بل يسمعه يناجي ربه وقد أخذ بحلقة باب الكعبة مناجاة الموحد الواثق، يا رب لا أرجو سواك، يا رب فأمنع منهم حماكا، أن عدو البيت من عاداكا، أمنعهم أن يخربوا قراكا[2]، ومرة أخرى يسمعه يقول:

لا يغلبن صليبهم ومحالهم عدواً محالك

ولئن فعلت فأنه أمر تتم به فعالك

---

(١) ينابيع المودة ٩٠/٢، السيرة الحلبية ٥/١، السيرة النبوية ٢١/١.

(٢) الكامل، ابن الأثير ٢٦١/١، مروج الذهب ١٢٨/٢.

أنـــت الـــذي أن جـــاء	بــاغ نــر تجيك لــه فــذلك
ولــوا لــم يحــووا ســوى	خــزي وتهلكهــم هــنالك
لــم اســتمع يــوماً بــأرجس	مــنهم يــبغوا قــتالك
جــروا جمــوع بلادهــم	والفـيل كــي يسـبوا عـيالك
عمــدوا حمــاك بكــيدهم	جهــلاً ومــا رقــبوا جلالــك

ثم عقب بقوله:

(يا معشر قريش لا يصل إلى هدم هذا البيت، فإن له رباً يحميه ويحفظه) ثم يستجاب الدعاء وتأتي طيور الأبابيل في قصة يرويها القرآن الكريم في سورة خاصة ﴿أَلَمْ تَرَى كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ * أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ * وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ * تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ * فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾[1].

ويرعى أبو طالب أباه هذا الطاهر ذا السمعة الناصعة البياض حتى كان يسمى ويدعى بـ (شيبة الحمد).

وكان فكره فكر الأنبياء في العقيدة وفي التعامل والتعايش مع الناس فكان يقول: (لن يخرج من الدنيا ظلوم، حتى ينتقم منه، وتصيبه عقوبة).

وما أن هلك رجل ظلوم – من أهل الشام– دون أن يمسه في هذه الدار أي سوء حتى جاءه من يتحداه فإذا به يجيب (والله أن وراء هذه الدار

---

(١) سورة الفيل: ١– ٥.

داراً، يجزي فيها المحسن بإحسانه، ويعاقب المسيء بإساءته)[1].

تلمس أخي القارئ نور المبادئ السماوية في هذا الفكر الذي يستحيل أن يكون نتائج فكر شخصي في وسط ظلمة الجزيرة العربية والتي يممّت وجهها صوب أوثانها فكانت مكة تحوي أكثر من ٣٦٠ صنماً رئيسياً عدا الأصنام الموجودة في كل بيت.

بينما لا نجد عبد المطلب أو أبا طالب يعرفون واحداً منها لا من قريب ولا من بعيد وفي وسط هذا النهج الإبراهيمي الحنيف ووسط هذه الشجرة الهاشمية الناصعة نشاهد غصناً أسوداً كالحاً وهو أبا لهب لذا فكفره وشركه يعتبر أمراً غريباً في بني هاشم، وكان السبب الرئيس لكفره هو مصالحه المادية وليس لقناعته في الفكر الوثني، فقد خاف أن تتأثر تجارته أن آمن بهذا الدين الجديد، لأن المستهلك لبضاعته كان المجتمع الوثني آنذاك وذلك سوف يفرض عليه قيوداً وضوابطاً لا تروق له.

وباستثناء أبي لهب يحفظ لنا التاريخ صفح ناصعة البياض لبني هاشم في نهجهم وفكرهم التي نهلت من الحنيفية البيضاء فأخبار النبي الموعود وعلاماته والأدلة عليه تكاد تكون من المسلمات الواضحة عندهم، وذلك من خلال ما تناقله الحكماء ما جاءهم عن رسل الله السابقين ويقول أحدهم مرة لعبد المطلب: (إذا ولد بتهامة غلام بين كتفيه شامة، كانت له الإمامة، ولكم به الزعامة، إلى يوم القيامة).

---

(١) السيرة النبوية ١٢/١.

ويكمل لعبد المطلب: (اسمه أحمد، يموت أبوه وأمه، يكفله جده وعمه). ويخر عبد المطلب ساجداً لله شكراً. ثم يرفع رأساً فرحاً مبتهجاً ويقول: (مات أبوه وأمه وكفلته أنا وعمه)[1].

لذا تجد عبد المطلب يولي جل عنايته ورعايته وحبه لهذا الحفيد العظيم محمدﷺ فمنذ ولدﷺ نجده يحمله ويسرع به إلى الكعبة ليدعوا الله ويشكره على هذا الفضل العظيم ويقول:

الحمد لله الذي أعطاني   هذا الغلام الطيب الاردان

قد ساد في المهد على الغلمان   اعيذه بالله ذي الأركان

حتى أراه بالغ البنيان   أعيذه من شر ذي شنآن

من حاسد مضطرب العنان[2]

ويكبر هذا الطفل العظيمﷺ بين مقلتي عبد المطلب وود وعطف ورعاية عمه أبي طالب الذي أوصاه به أبوه، إذ يقول له مرة: (يا أبا طالب أن لهذا الغلام شأناً عظيماً! فأحفظه واستمسك به، فإنه فرد وحيد، وكن له كالأم، لا يصل إليه شيء يكرهه)[3].

وعبد المطلب ليس شخصاً عادياً فهو العارف العالم المهيب في قومه مطاع الأمر مستجاب الدعوة ذو شفاعة عند الله عز وجل فهو من جهة جد

---

(١) السيرة الحلبية ١/١٣٥، السيرة النبوية ١/ ٦٦- ٦٨ و٧٩.

(٢) مروج الذهب ٢/٢٨١.

(٣) المجالس السنية.

رسـول الله قـد حمـل بـين ثناياه نور النبوة ومن جهة أخرى قد حفظ التعاليم السـماوية من الحنيفية البيضاء، ورع، حكيم، عفيف، مؤمن، في زمن الجهل والكفر والظلم والظلمة.

لذا فلا غرابة عندما يهرع له العرب في وقت القحط والجفاف ليستقي لهـم فهـو الوجيه عـند الله، ويـرفع يديـه الكـريمتين مـتوجهاً لخالقه: (اللهمَّ هـؤلاء عبـيدك وبـنو عبـيدك، وإمـاؤك وبـنو إمائـك وقـد نـزل بـنا مـا ترى، وتـتابعت علينـا هـذه السنون فذهبت بالظلف والخف والحافر، فأشفت على الأنفس، فأذهب عنا الجدب، وائتنا بالحياة[1] والخصب)[2].

ولا يكـاد يـدع الجبل إلا وتسيل أودية بعد أن انهمرت السماء بالكرم الجزيل من لدن كريم رحيم، كرامة لشيبة الحمد جد رسول الله ﷺ.

ويسيل مع الخير شعراً عذباً جادت به قريحة (رقيقة بنت أبي صفي بن هاشم):

بشـيبة الحمـد أسـقى الله بلدتـنا ... وقـد عدمنا الحياة وأجلوّذ المطر

فجـاد بالمـاء جونـيّ لـه سـبل ... جـار فعاشـت بـه الأنعـام والشجر

مـناً مـن الله بالمـيمون طائـره ... وخيـر مـن بشـرت يـوماً بـه مضر

مـبارك الاسـم يستسقي الغمام به ... مـا في الأنام له عدل ولا خطر[3]

---

(١) الحياة، بمعنى المطر وتأتي بمعنى النبات.

(٢) السيرة الحلبية ١/١٣١.

(٣) السيرة الحلبية ١/١٢٢، السيرة النبوية ١/٦٤.

وسمعت قيس ومضر ولم يكن لأرضهم من ذاك الخير الذي أصاب مكة نصيب، فعزم عظماؤهم أن يفزعوا لعبد المطلب ذلك الشيخ المقدس فقصدوا وشكوه الحال: (قد أصابنا سنون مجدبات وقد بان لنا أثرك، وصح عندنا خبرك، فاشفع لنا عند من شفعك، وأجرى الغمام لك).

وفي اليوم التالي كان عبد المطلب شيبة الحمد في جمع من أبنائه وبينهم حفيده الحبيب المصطفى ﷺ أرواح العالمين له الفداء، يعلو حجر جده تجلله حالة النور الإلهي والناس من حولهم ويرفع عبد المطلب يديه الطاهرتين نحو السماء، وبقلب مفعم بالإيمان وبلسان صادق: (اللهم رب البرق الخاطف، والرعد القاصف، رب الأرباب وملين الصعاب، هذه قيس ومضر، من خير البشر، قد شعثت رؤوسها وحدبت ظهورها تشكو إليك شدة الهذال وذهاب النفوس والأموال! اللهم فأتح لهم سحاباً خواره، وسماءً خرارة، لتضحك أرضهم، ويزول ضرهم).

وتستجيب السماء لأمر ربها وتنعقد الغيوم ويصرفهم عبد المطلب: (يا معشر قيس ومضر انصرفوا فقد سقيتم).

ويجود وينشد ابنه أبو طالب فرحاً بهذه الأبيات:

أبونا شفيع الناس حين سقوا به	من الغيث جاس العشير بكور
ونحن سنين المحل قام شفيعنا	بمكة يدعو والمياه تغور
فلم يبرح الأقدام حتى رأوا بها	سحابات مزن صوبهن تدور
وقيس أتتنا بعد أزم وشدة	وقد عضها دهر أكب عثور
فما برحوا حتى سقى الله أرضهم	بشيبة غيثاً فالثبات تضير

وهكذا يعيش هذا اليتيم العظيم ﷺ بين هذه العائلة الهاشمية المستنيرة في كنف جده الذي كان يحيطه بكامل العناية والرعاية حتى أنه شغل تفكيره فيمن يرعاه بعد وفاته فاختار له من أبنائه أفضلهم خوفاً وحيطة عليه ومعرفة به فيقول لأبي طالب:

أوصيك يا عبد مناف بعدي   بموحدٍ بعد أبيه فرد

وفي قول آخر:

وصيت من كنيته بطالب   عبد مناف وهو ذو تجارب

بابن الحبيب أكرم الأقارب   بابن الذي قد غاب غير آئب

ويتحمل أبو طالب هذه الوصية وهو فرح بها، إذ يقول:

لا توصني بلازم وواجب   أني سمعت أعجب العجائب

من كل حبر عالم وكاتب   بان بحمد الله قولُ راهب

ثم يقول له شيبة الحمد عبد المطلب: (انظر يا أبا طالب، أن تكون حافظاً لهذا الوحيد، الذي لم يشم رائحة أبيه، ولم يذق شفقة أمه، أنظر أنه يكون من جسدك، بمنزلة كبدك، فإني قد تركت بنيّ كلهم، وخصصتك به لأنك من أم أبيه، وأعلم: فإن استطعت أن تتبعه فأفعل، وأنصره بلسانك، ويدك، ومالك فإنه والله سيسودك ويملك ما لا يملك أحد من آبائي، هل قبلت؟).

فأجابه أبو طالب: (قد قبلت والله على ذلك شاهد).

ومد يده إليه فضرب بها على يد أبي طالب، وقال مطمئناً: (الآن خفف علي الموت).

ثـم قـبل ابـنه بحـنانه وقال له: (أشهد أني لم أرَ أحداً من ولدي أطيب ريحاً منك ولا أحسن وجهاً).

بهـذه الأصـول الكـريمة، وبهـذه الأسس النيرة، والقواعد الراسخة في الإيمـان أخـذت تـتحدد ملامـح شخصية أبي طالب الإيمانية وترك بصماته الواضحة المرئية والمحسوسة على إيمانه وعقيدته بالله وبالرسول القادم.

نعـم، فقـد أنعـم الله جـل وعـلا علـى أي شـخص إذا بـين لـه آياتـه ومعجزاته وأبو طالب وإن كان لا يحتاج إلى أي من هذه المعجزات لتعميق إيمانـه بـالله فهـو المـؤمن الـذي ورث الإيمـان مـن آبائـه إسماعيل وإبراهيم فالإيمـان يحـيط بـه من كل أطرافه وجوانحه يعيشه وينعم به[1]- من الناحية المعـنوية- التـي عاشـها أبـو طالـب، إذ يسـمع الأخـبار الواردة عن أبيه وعن العلمـاء والحكماء ويشاهد المعاجز الإلهية التي تحيط أباه وابن أخيه محمداً منذ طفولته الكريمة.

(١) ومن ذا الذي لا يُفعم قلبه بالإيمان لو عاش الحياة الكريمة.

احتضانه للنبي ﷺ وعظم المسؤولية

بعد أن مضى عبد المطلب إلى جوار ربه آلت زعامة بني هاشم بشكل طبيعي إلى خير أبنائه وأجلّهم، وهو أبو طالب ورغم أنه كان قليل ذات اليد إلا أن ذلك لم يطفئ من نوره شيئاً بل كان دليلاً على علو قدره، إذ حاز على سمو شخصيته ومكانته الاجتماعية العالية بدون المال فهو الرجل المهيب المطاع الذي يشار إليه بالبنان.

وأنه لم يكن ليكنز المال كغير، بل كان ينفقه، وقد قام بسقاية الحاج بعد أبيه رغم قلة ما عنده من حطام الدنيا حتى أنه كان يقترض المبالغ الضخمة لسقاية بيت الله، ففي أحد الأعوام أقترض من أخيه العباس عشرة آلاف درهم إلى موسم آخر، وجاء عام آخر ولم يستطع أن يدفع فيه لأخيه دينه، بل وطلب منه هذا العام قرضاً آخر أربعة عشر ألف درهم، كي لا يدع سقاية حجاج بيت الله ضيوف الرحمة، ولكن العباس لم يقرضه هذه المرة إلا بشرط وهو أنه إذا عجز أبو طالب عن سد دينه في عامه المقبل، فعليه أن يترك السقاية إليه فكان ذلك[1]، ومن ملامح نفسه الزكية أنه كان يرمي

---

(١) شرح النهج الحديدي ٤٦١/٣، السيرة الحلبية ١٧/١، الكامل في التاريخ، ابن الأثير ١٤/٢.

بالتمر والزبيب في ماء زمزم ليعذب ويحلو ماؤها، كرماً وسمواً في نفسه العالية.

هذا هو مربي النبي بعد أبيه عبد المطلب فلا عجب أن يختار الله لنبيه مربياً كأبي طالب فهو بجدارة فخر قريش (نبعة الخير، والكهف الحصين الذي تقيه من الحوادث والطوارئ، فإليه يلجأ الضعيف المضام، ومن كفة الندية ينتهل المعدم فتعود له الحياة المخضرة، وبه يتوسلون حينما ينقطع من السماء قطرها المدرار، وهو: الوصول للرحم، الكشاف للكروب، البر الرحيم، الجواد بما يملك من غير منة، والسمح بما يستطيع، بلا طلب، قوى الإرادة منطيق فصيح، يتدفق بلاغة، حديدي القلب، ثبت الجنان، جميل الطلعة، مهوب الجانب، موفور الاحترام والتعظيم)[1].

(وإن له في التشريع لدراية، فهو ذو معرفة شاملة، وعلم عميق، فيحرم على نفسه شرب الخمر، ومقارفة الموبقات، وكل ما حوله من الجاهلية، وأرجاس الشرك، وآثام الوسط المنحط ويرتفع بروحيته إلى أفق واسع، رفيع المستوى، مديد الرقعة، نقي الجواء، على صفاء وطهارة)[2].

ولقد كان أبو طالب بحق ولياً من أولياء الله الصالحين، وها هو يرفع يديه إلى السماء فلا ترد أبداً.

(أخرج ابن عساكر عن جلهمة قال: قدمت مكة وهم في قحط وشدة،

---

(١) إثبات الوصية ١٠٧.

(٢) أبو طالب مؤمن قريش للخنيزي ص١١٨.

من احتباس المطر عنهم، فقائل يقول: اعتمدوا اللآت والعزى، وقائل منهم يقول: اعتمدوا مناة الثالثة الأخرى، فقال شيخ وسيم، حسن الوجه، جيد الرأي، أنى تؤفكون، وفيكم بقية إبراهيم وسلالة إسماعيل! -ولم يغب عنهم ما يعنيه هذا الشيخ الوسيم، والمجوِّد الرأي، والحسن الوجه، وما كان هذا العلم بالجديد عليهم، وهم منه على عمق معرفة، وشمول رواية-.

قالوا: كأنك عنيت أبا طالب.

فقال: أيها ...!

فقاموا بأجمعهم، وقمت معهم، فدققنا الباب عليه، فخرج إلينا رجل حسن الوجه، عليه أزار قد أتشح به فثاروا إليه فقالوا: يا أبا طالب أقحط الوادي وأجدب العيال فهلَّ فاستسق لنا.

فخرج أبو طالب ومعه غلام -وهو النبيﷺ- كأنه شمس دجنة تجلت عليه سحابة قتماء، وحوله اغيلمة، فأخذه أبو طالب فألصق ظهر الغلام بالكعبة، ولاذ الغلام -أي أشار بأصبعه إلى السماء كالمتضرع الملتجئ، وما في السماء قزعة، فأقبل السحاب من ههنا وههنا، وأغدودق الوادي وكثر قطره وأخصب النادي(١).

أن من الظلم لأبي طالب أنه تمدحه أقلامنا القصيرة، الضعيفة الهزيلة فما عساها أن تكتب وهاهو جبار السماء خالق الكون يكشف عن جوهر هذا الإنسان، إذ تسرع استجابة دعائه فتقول لنا أنه عبد من عبادنا الاتقياء وله

---

(١) ابن عساكر، والسيرة النبوية ج١، ٨٠.

مكانة ورفعة وعظمة بطاعته لله فهو ولي مؤمن يحبه الله.

وهذا ما نفهمه من الشفيع فهو أسمى من الآخرين عالي القدر عند خالقه.

هذا هو أبو طالب ومثله يستحق أن يكشف الله عن معدنه وهويته للناس فيعرفونه أكثر وتلجم أفواه حاسديه وتخرس ويسطع كنهه على مشارف التاريخ، ويلطم الله بها وجوه الكذابين الذين يريدونها عوجاً ويريدها الله صراطاً مستقيماً وتغلب إرادة الله دوماً وأبداً لأنه وعد بتمام نوره أبداً سرمداً ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾[(١)].

وإلا كيف تصل إلينا هذه الحقائق رغم وجود الذين أرادوا إخفائها، نعم أرادوا إخفائها بالسيف والقلم والكذب، وبكل وسائل أهل الباطل، ما ادخروا وسيلة إلا جندوها لحرب الحق من جهلهم وغبائهم، ولكن من (صارع الحق صرعه) كما يقول أمير المؤمنين عليه السلام؛ لأن الحق قوي بقوة الله عز وجل والعبرة بالنهاية، إذ إن الزمن لم ولن يتوقف ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾.

أبو طالب أيها العظيم الشأن كم لك من معروف في رقاب المسلمين جميعاً تدين به حتى يرث الله الأرض ومن عليها ألم تكن حصناً للرسالة المحمدية؟ ألم تكن كهفاً منيعاً لنبي الأمة؟ ألم تفني حياتك وأنت ترعاها وتصونها وتتقي بنفسك وبروحك سهام أعدائها وكنت تضع كبدك في

---

(١) سورة الصف: ٨

مرمى رماحها؟

ألم تضع ابنيك وهم فلذات كبدك الشريف وقاء لرسول الله؟.

أنت عظيم وعظمتك من عظمة خالقك، واستميحك العذر في أن أقحم نفسي الصغيرة فيمن يكتبون عن العظماء فها نحن نصلي ونسلم على محمد وآله نبتغي بذلك رفعة لنا عند الله.

فسلام الله عليك يا حصن رسول الله، يا درع رسول الله، يا حامي رسول الله، سلام الله عليك سلام محب، مكبر لقدرك، معترف بفضلك ونورك رغم ظلمة الجاحدين.

أبو طالب وإشارات قبل الدعوة

ويكبر النبي محمدﷺ في ظل عمه أبي طالب وتنتشر علامات نبوته في أفاق الجزيرة العربية وتبدأ إرهاصات النبوة تدلل عليها الكتب السماوية ورجال الدين الذين لهم معرفة بعلائم النبوة وعلامات أخرى كانت تصاحبه في حياته منذ صغره وحتى يكبر، وكل ذلك تمهيداً سماوياً لبزوغ دعوته الميمونة، وكل ذلك كان تحت نظر عمه المؤمن العظيم أبي طالب فكان يذكرها ذكر العارف المنتظر للحدث العظيم فقد جاء في السيرة النبوية ج١، ص٨٩ والحلبية ج١، ص١٣٩ أنهﷺ كان مع عمه أبي طالب بذي المجاز إذ عطش أبو طالب وليس ثمة ماء، فذكر لأبن أخيه ما ألم به من عطش، فما كان من رسول الله إلا أن ضرب صخرة برجله المباركة فإذا بالماء يتدفق أمام عيني عمه أبي طالب فشرب حتى أطفأ لهبة الظمأ.

ومرة يشاهده كاهن مع أبي طالب، كما جاء في السيرة الهاشمية ج١، ص١٩٠، والحلبية ج١، ص١٣٩، فقال الكاهن متعجباً الغلام! علي به!

وما أن سمع أبو طالب هذا الاهتمام والتركيز حتى عمد إلى تغييب الغلام (محمدﷺ) وذلك بعد أن صاح الكاهن ويلكم!! أردوا علي الغلام الذي رأيت آنفاً! فوالله ليكونن له شأن.

إنك المبارك

أنها الكلمة التي كان يقولها المبارك أبو طالب للمبارك ابن أخيه محمدﷺ وذلك عندما كان صبياً يتربى في بيته المبارك مع أبنائه وكان الطعام الذي يعدونه في بيت أبي طالب لا يكفي لسبب الفقر؛ لذلك كان أبو طالب يدعو ابن أخيه إلى المائدة فإذا حضر النبيﷺ طرح الله البركة في ذلك الطعام فلا يقومون منه إلا وهم شبعى، هذا فضلاً عما يزيد من تلك المائدة، فكان يقول له عمه أنك المبارك، ويا لهذا البيت المبارك الذي يضم أبا طالب وأبناءه وابن أخيه المصطفى.

وعندما يضطر شيخ البطحاء إلى السفر إلى الشام وترك اليتيم محمد يصل إلى مسامعه الشريفة صوت المصطفى وهو يقول: يا عم إلى من تكلني؟ لا أب لي ولا أم؟ وتسيل دموع أبي طالب على وجنتيه الكريمتين مع دموع المصطفىﷺ فلا يملك شيخ البطحاء إلا أن يقول: والله لأخرجن به معي ولا يفارقني ولا أفارقه أبداً.

ويسعد العم برفقة ابن أخيه على راحلة واحدة، وفي الطريق يمرون على راهب عالم بعلوم النصرانية في صومعته يقال له (بحيرا) كما جاء في السيرة الحلبية والنبوية والكامل لابن الأثير والطبري.

ويسأل هذا الراهب عمه أبا طالب بشق، ما هذا الغلام منك؟

ابني.

فيجيب الراهب: ما هو ابنك، أو ما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حي؟

فإنه ابن أخي.

فما فعل أبوه؟

مات وأمه حبلى به.

صدقت!! فأرجع بابن أخيك إلى بلده وأحذر عليه اليهود! فوالله لأن رأوه وعرفوا ما عرفت ليبغُنه شراً، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم فأسرع به إلى بلاده.

وتتراكم هذه المعلومات في ذاكرة شيخ البطحاء لتنشر لنا مخيلته الشريفة يوماً دراً من الشعر تطرز بها جبين التاريخ البشري له حيث قال شيخ البطحاء معرفة وعلماً وفضلاً ونوراً يخترق التاريخ فيضيء أيامه حتى يومنا هذا وإلى الأبد بهذه الآبيات الرائعة:

أن ابن أمنة النبي محمداً	عندي يفوق منازل الأولاد
راعيت فيه قاربة موصولة	وحفظت فيه وصية الأجداد
وأمرته بالسير بين عمومه	بيض الوجه مصالت انجاد
حتى إذا ما القوم بصرى عاينوا	لاقوا على شرك من المرصاد
حبراً فأخبرهم حديثاً صادقاً	عنه وردّ معاشر الحساد
قوم يهود قد رأوا ما قد رأى	ظل الغمامة وثاغري الأكباد
ثاروا لقتل محمد فنهاهم	عنه وجاهد أحسن التجهاد
فثنى زبيراً من بحيرا فأنثنى	في القوم بعد تجادل وبعاد
ونهى دريساً فأنتهى عن قوله	حبر يوافق أمره برشاد

وقال أيضاً:

ألـم ترنـي بعـد هـم هممـته   بفـرقة حـر الـوالدين حـرام
بأصـمد لمـا أن شـددت مطيتـي   برحلـي وقـد ودعـته بسـلام
بكى حزناً والعيس قد فصلت بنا   وأخـذت بالكفـين فضـل زمام
ذكـرت أبـاه ثـم رقـرقت عبـرة   تجـود مـن العينين ذات سجام
فجاؤوا وقـد همّوا بقتل محمد   فـردهم عـنه بحسـن خصـام
بـتأويله الـتوراة حتـى تيقـنوا   وقـال لهـم رمـتم أشـد مـرام
أتـبغون قـتلاً للنبـي محمـد   خصصتم على شؤوم بطول أثام
وأن الـذي نخـتاره مـنه مانـع   سـيكفيه مـنكم كـيد كل طغام
فـذلك مـن اعلامـه وبـيانه   ولـيس نهـار واضـح كظـلام

وهكـذا يـدرك أبـو طالـب نـور النـبوة فـي مهـدها، ويرتشـف فيضـها الوضـاء، فهو الذي ما برح ملاصقاً لها يحيطها برعايته الكريمة ما أمكنه إلى ذلك سبيلاً.

ويكبر النبيﷺ ويرى أن يجد للنبي عملاً كريماً فيرى له أن يخرج بتجارة لأحد الأثرياء، وتسمع خديجة بالخبر فترسل إليه أن يخرج بتجارتها وهـي الموفورة الحظ، إذ سبقت غيرها بهذا المكسب العظيم، ويذهب النبي محمـدﷺ ويعود بالربح الوافر، وتسمع خديجة من (ميسرة) عامل خديجة مـا أبهـره مـن سمو النبي الأكرم ونبل طباعه وعظيم سجاياه، مما أثار اهتمام السيدة الكريمة خديجة في أن لا يكون أحد دون غيره زوجاً لها.

وأرسـلت مـن يوصـل هذه الفكرة إلى رسول اللهﷺ وتصل الرسالة الكـريمة فيتقدم أبو طالب سيد قريش خاطباً ويقول: (الحمد الله الذي جعلنا

من ذرية إبراهيم، وزرع إسماعيل وضئضئ[١] معد، وعنصر مضر، وجعلنا حضنة بيته، وسوّاس حرمه، وجعل لنا بيتاً محجوباً، وحرماً آمناً، وجعلنا حكام الناس، ثم إن ابن أخي هذا محمد بن عبد الله لا يوزن برجل إلا رجح به شرفاً، ونبلاً، وفضلاً، وعقلاً، فإن كان في المال قلّ، فإن المال ظل زائل، وأمر حائل، وعارية مسترجعة، ومحمد من قد عرفتم قرابته، وقد خطب خديجة بنت خويلد، وبذل لها ما آجله وعاجله - كذا- وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم، وخطر جليل جسيم)[٢].

وهنا لابد لنا من وقفة ولو قصيرة مقتضبة لنشير إلى بعض ما ورد في هذه الخطبة على لسان أبي طالب وبما يشير إلى مكنون معتقد هذا السيد الجليل:

١- إشادته بعظمة النبي الكريم فهو ذو المكانة العالية الذي لا يقاس به أحد.

٢- لقد أقسم أبو طالب بأن لمحمد ابن أخيه شأن عظيم وخطر جليل جسيم، وهذا يدل على علم أبي طالب ومعرفته بالنبوة القادمة لابن أخيه واعترافه بمكانة هذا الأمر في نفسه وإلا لما ذكره بهذه الطريقة وفاخر به أمام الحفل.

ويتمم الله تعالى هذا الزواج الميمون لسيد الخلق أجمعين ويكون

---

(١) ضأضأ، الضئضئ والضئضؤ: الأصل والمعدن. لسان العرب، ج١، ص١١٠.

(٢) السيرة النبوية، ص١٠٦، الحلبية، ص١٦٥.

سيد البطحاء قد أنهى بذلك مرحلة في رعاية النبي ﷺ بعد أن تولى تربيته ورعايته صغيراً ثم علمه التجارة والسفر وتولى أمر الخطبة له وتزويجه من خديجة الكبرى.

فهنيئاً لك هذا الفضل العظيم يا سيد البطحاء، يا سيدي ومولاي يا أبا طالب من يدانيك بالفضل يا كافل سيد المرسلين ورفعك الله في أعلى درجات الصالحين بما رعيت وحميت نبيه وحبيبه المصطفى ﷺ فجزاك الله أوفر الجزاء.

مرحلة الدعوة

ويدخل أبو طالب - هذا البطل الذي اختاره الله حامياً لنبيه- مرحلة جديدة في كفالة ابن أخيه، هذه المرحلة ليست كسابقتها فقد كانت على قدر من العناء ولكن دون الحرب ومخاطرها، فهذه المرحلة هي قمة ما لاقاه أبو طالب من تحديات تمثلت في صلف قريش وجبروتها وقسوتها ولؤمها في تحدي الرسالة وصاحبها، ومن يقف معها، ولكن لابد لأبي طالب أن يقوم بالدور المنوط به والذي قدره الله له جل شأنه وهو الكفء لهذا الدور، فقد بذل كل ما يستطيع في حماية الدعوة وصاحبها بذل جاهه وماله ونفسه وعياله حتى لاقى ربه.

ولنواكب أبا طالب في هذه الحقبة وهو يسير مع النبوة جنباً إلى جنب ونلقي ونسلط الضوء عليه بكل دقة لنرى أدق التفاصيل على مواقفه من النبي ورسالته وليتسنى للقارئ معرفة ذلك الرجل العظيم! هذه الفترة هي فترة الدخول إلى معترك الصراع مع القوى الموجودة في السلطة آنذاك والتي تمثل السلطة السياسية الحاكمة بمصطلح اليوم، وبكل ركائزها من الاستخبارات والجيش والشرطة وأحلاف سياسية واقتصادية، وما إلى ذلك من قوى تقف بصلابة أمام كل من يقترب أو يمس السلطة، وهنا ينكشف معدن المؤيد والمناصر من الخاذل والمحايد والمحارب ...!؟

ويبلغ الله جل وعلا نبيه المصطفى صلى الله عليه وآله بالتكليف الإلهي العظيم ويأمره بإظهار أمره، اليوم الذي طالما انتظر أبو طالب بزوغ فجره.

ولا تكاد أذني أبو طالب تسمع ببشائر الدعوة المحمدية ونور الإسلام قد بزغ إلا وتنشرح أساريره ويشرق وجهه ويخفق قلبه ويبين سنا نور وجهه الوضاء فيهدر بهذه الكلمات النوراية باتجاه ابن أخيه وحبيبه وحبيب رب السماوات رسول هذه الأمة محمد صلى الله عليه وآله، إذ قال له: (أخرج ابن أبي، فإنك الرفيع كعبا، والمنيع حزناً، والأعلى أبا ... والله لا يسلقك لسان إلا سلقته السن حداد، وأجتذبته سيوف حداد ... والله لتذلن له العرب، ذل البهم لحاظنها، ولقد كان أبي يقرأ الكتاب جميعاً ... ولقد قال إن من صلبي لنبياً لوددت أني أدركت ذلك الزمان فآمنت به فمن أدركه من ولدي فليؤمن به)[1].

وأن اللبيب ليدرك جلياً هنا أن أبا طالب لم يؤمن هنا في هذه اللحظة، بل أنه كان مؤمناً سلفاً بالنبي وبخالقه وبالرسالة وكان ينتظر التبليغ بلهفة المؤمن الموقن، هاهو يتكلم عن شيء فوق الإيمان بالرسالة بما جاء به النبي صلى الله عليه وآله وهو الذب والدفاع عن تلك الرسالة في أعلى مستوياته وهو الدفاع بالسيف ولا أعتقد أن أحداً يدافع بالسيف ويعرض نفسه للخطر في شيء هو لا يعتقد به.

ومثله في ذلك كمثل شخص يبحث عن أبيه المفقود أربعين سنة،

---

(١) فقيه الحنابلة إبراهيم بن علي الدنيوري في كتابه (نهاية الطلب وغاية السؤال في مناقب آل الرسول، وفي العباس ص١٨.

وقضى هذه الفترة وهو لا يدخر جهداً في هذه الغاية، يبحث ويترقب ويتحسس وينتظر انتظار يعقوب ليوسف عليه السلام.

وعندما يجد والده عياناً أمامه فلا يحتاج أن يقول له أني أقبلك أباً، بل أنه سيلقي نفسه بين ذراعيه ويقع على قدميه يقبلهما فرحاً بالعثور عليه ويروي نفسه وروحه منه بهجة وسروراً، كما انتشت روح يعقوب عليه السلام بيوسف عليه السلام عندما شم قميصه.

هكذا تلقى أبو طالب خبر الدعوة من أبن أخيه محمد صلى الله عليه وآله.

وهكذا يؤيد الله نبيه بهذا الكهف المنيع لينطلق النبي صلى الله عليه وآله في دعوته من أرضية صلبة تثبت قدميه في خطواته المباركة وهو مطمئن كل الاطمئنان بأن الله حاميه بعمه القوي (والله لا يسلقك لسان إلا سلقته ألسن حداد) (واجتذبته سيوف حداد) فيمضي صلى الله عليه وآله على بركة الله في دعوته وهاهو يحضر صلى الله عليه وآله أول محفل يدعو إلى الله قومه فيه، حين نزلت آية الأنذار وأنذر عشيرتك الأقربين فيأمر ابن عمه علي بن أبي طالب عليه السلام أن يدعو العشيرة ويلقي عليهم الدعوة إلى دين الله فيبادر زياد عمه أبي طالب بالجواب وكأنه يكمل كلام رسول الله فيقول: (ما أحب إلينا معاونتك، وأقبلنا لنصيحتك وأشد تصديقنا لحديثك، وهؤلاء بنو أبيك مجتمعون، وإنما أنا أحدهم، غير أني أسرعهم إلى ما تحب، فأمضي لما أمرت به، فوالله لا أزال أحوطك وأمنعك)[1].

---

(١) الكامل لأبن الأثير، ج٢، ص٤١.

وهنا لابد أن يتبادر سؤال مهم، وهو (ألم يكن دور أبي طالب هو نصرة الرسول ونصرة دعوته ولابد أن يكتم إيمانه عن قريش كي يستطيع أن يكون حامياً أمام بطش قريش فيكفوا أيديهم عنه اعتباراً لمكانة أبي طالب وقريش كقوم صالح، إذ قالوا له ولولا رهطك لرجمناك وكذلك قريش تركت قتل النبي خوفاً من أبي طالب ومكانته ومن أن تخسره، ولكن أبو طالب لم يكن يظهر كامل الإسلام، ولم يكن يظهر الكفر، بل كان من الذكاء والفطنة التي اشتهر بهما وهو الشاعر والحكيم والمتكلم، فلم يدخر مناسبة إلا ومجد فيها النبي ودينه ورفع من شأنه، فتقوى بذلك ركائز الدعوة والرسالة وتثبت القناعات للعامة في صدق هذه الدعوة الإلهية ومن جانب آخر لم يكن يقول بصراحة أنا مسلم وفي نفس الوقت لم يكن يمدح أو يرفع من جبهة الشرك والكفر ولم يذكرهم بخير ولا مرة واحدة ليرفع من شأنهم ويقوي شوكتهم وإذا اضطر لذلك فلابد من حيلة وخدعة لا يعدم إيجادها وهو الفطن اللبيب فكان يقول أنه على دين آبائه أو دين عبد المطلب، وهو يقصد الدين الحق الذي وصلهم من الأنبياء وهو ملة إبراهيم عليه السلام الحنيفية البيضاء كما هو معروف ولذلك يخبره أبو طالب عندما أجاب دعوة النبي بالإنذار قال كما مر سابقاً.

(ما أحب إلينا معاونتك ... الخ، حتى فوالله لا أزال أحوطك وأمنعك) ولكنه عندما رأى عيوناً في وجوه عابسة لا يروق لها هذا الكلام ترمقه بحقد أسود ... بادر أبو طالب وقال: (غير أن نفسي لا تطاوعني على فراق دين عبد المطلب).

وهكـذا يكون إيمانه راسخاً في القلب واضحاً للعيان ودون أن يصرح به صراحة أبو ذر الغفاري ولم يذكر آلهتهم بخير كعمار بن ياسر.

ومـثله فـي القـرآن كمؤمن آل فرعون وسيأتي شرح ذلك تفصيلاً في فصل متقدم في هذا الكتاب إنشاء الله.

ورغـم مـا أشـار أبو طالب عليه السلام من أنه على ملة عبد المطلب إلاّ أن أبا لهـب لا يـروق لـه هـذا الكلام من أخيه أبي طالب ويخشى أن يبعث كلامه في الحاضرين، القبول لدعوة النبي صلى الله عليه وآله فيبادر:

هذه والله السوأة، خذوا على يديه قبل أن يأخذ غيركم.

فيرده أبو طالب: والله لنمنعنه ما بقينا[1].

يـا للمجاهـد أبـي طالب بدأ جهاده ضد ابن أبيه منذ البدايات الأولى، فهـا هـو يـثور فـي وجـه أخـيه وأمام الجميع في حديث اضطر أبو طالب أن يحجم هذا الكافر أبا لهب ويسفهه دفاعاً عن النبي صلى الله عليه وآله فيقول له: أسكت يا أعور!! ما أنت وهذا.

بيـنما نجـده يخفـض جناح الذل من الرحمة لابن أخيه ويقول له بكل إذعـان ورضـوخ المـؤمن المسلّم، إذ يقـول للنبـي: (قم يا سيدي وتكلم بما تحب، وبلغ الرسالة، فإنك الصادق المصدَّق).

يالـروعة أبـي طالب، إذ يخاطب ابن أخيه الذي رباه يتيماً وكفله حتى بلـغ أشـده وهو أي أبو طالب الذي يكبره في السن وفي المكانة الاجتماعية

---

(١) الكامل لابن الأثير، ج٢، ص٤١، والسيرة الحلبية ج١، ص٣٢١.

في قومه ظاهراً ويناديه يا سيدي!! إنه الإذعان الكامل للرسالة والعبودية الكاملة لله عز وجل فهذا مقام النبوة الذي يفوق كل مقام ومكانة وهذا أبو طالب، ذاك العبد الصالح الذي يدرك ويعرف هذه المعاني السامية.

موقفه من أبنائه علي وعقيل وجعفر

ويتجلى نور أبي طالب وتتجلى عظمته في صور شتى في التاريخ، الواحدة تلو الأخرى، وكل منها أنصع من أخرياتها بياضاً ونظارة، فهاهو يلقي بأبنائه في وجوه العتاة من قريش دفاعاً عن النبي صلى الله عليه وآله والدعوة لم يخضر عودها بعد، فالمخاطر الدنيوية في مواجهة بطش الظالمين هي نجاة في نظر المؤمن أبي طالب فها هو يخاطب علياً عليه السلام كما يروي علي عليه السلام، إذ يقال له: قال لي أبي: يا بني! ألزم ابن عمك، فإنك تسلم به من كل بأس آجل وعاجل ثم قال لي: أن الوثيق في لزوم محمد فأشدد بصحبته - عليٌ- يديكا.

ومرة يرى النبي صلى الله عليه وآله وهو يصلي وعلي عن يمينه، فتمتلئ روحه نشوة وسروراً فيهتف بابنه الثاني جعفر الطيار (صلِ جناح ابن عمك، فصل عن يساره)[1]. ولتغمر روحه نشوة وسعادة إذ يرى أبناءه ركائز في دين الله فأحدهم عن يمين النبي وآخر عن يساره عندها يسيل من نبع قريحته الشعرية عذب من الكلام روياً، إذ يقول:

إن علياً وجعفراً ثقتي   عند ملم الزمان والنوب

---

(١) شرح ابن أبي الحديد، نهج البلاغة ج٣، ص٣١٤.

لا تخذلا وانصرا ابن عمكما　　أخي لأمي من بينهم وأبي

والله لا أخذل النبي ولا　　يخذله من بني ذو حسب[١]

ويتوجه كذلك لأخيه سيد الشهداء حمزة (أبي يعلي) يحثه على نصرة النبي صلى الله عليه وآله ودين الله ولنستمع لما يقوله له في نصرة النبي ودينه شعراً سائغاً إذ يقول:

فصبراً أبا يعلي على دين أحمد　　وكن مظهراً للدين وفقت صابراً

وحطّ من أتى بالحق من عند ربه　　بصدق وعزم لا تكن حمزة كافراً

فقد سرني، إذ قلت أنك مؤمن　　فكن لرسول الله، في الله ناصراً

وناد قريش بالذي قد أتيته　　جهاراً وقل ما كان أحمد ساحراً[٢]

وهنا لا يرى المستمع لهذه الأخبار إلا عظمة الله وكيف أنه نصر نبيه صلى الله عليه وآله بهذه الأنوار الهاشمية تحوطه كما تحوط الهالة الكوكب الزاهر فأبو طالب سند وكهف وأبنائه علي وجعفر وعمه حمزة أبطال قد قرت بهم عين النبي يحوطونه كالأسود المنيعة فسلام الله عليهم أجمعين.

وكان هذا الأساس الذي سوف يكون قاعدة لانطلاق النبي وقريباً تظهر عواصف البطش من عتاة قريش عندما تستشعر الخطر على مصالحها، من هذا النور الوضاء الذي بدأ يمزق حلكة ظلامهم الدامس وبدت تخاف على أصنامهم وبدت تخاف على أصنامها البالية التي طالما درت عليهم

---

(١) شرح النهج لأبن أبي الحديد ج٣، ص٢٧٢، رسائل الجاحظ ص٤٩.

(٢) أسنى المطالب، ج١٠، ص٦.

الدراهم والدنانير والمناصب الجائرة والسلطة الظالمة وبغير وجه حق وبمراسم ما أنزل بها من سلطان.

وتنشط دعوة النبي ﷺ وينتشر نورها انتشار نور الشمس عندما تطلع على الليل البهيم، وترتجف قريش ولا تملك بعد فشل كل أساليبها في صد النور الوهاج بأكفهم التافهة الضئيلة إلا أن تذهب في محاولة إلى أبي طالب كي يشفع لهم عند ابن أخيه فيذهب نفر منهم إلى أبي طالب (يا أبا طالب إن ابن أخيك قد سب آلهتنا وعاب ديننا، وسفه أحلامنا، وضلل آبائنا، فإما أن تكفه عنا، وإما أن تخلي بيننا وبينه فإنك على مثل ما نحن عليه، من خلاف، فنكفيكه).

ويمارس أبو طالب هنا دوره بكل ذكاء وهكذا يحاول أن يمتص الصدمة فلا تصل إلى الرسول ﷺ بدبلوماسية فائقة -بتعبير اليوم- فينصرفوا دون أي أثر لهم على الرسول ﷺ ودون أن يثير غضبهم عليه وكأنه يعطيهم مخدراً إلى أطول فترة ممكنة، وبالفعل يمضوا إلى حالهم لفترة، يكون رسول الله قطع فيها شوطاً في الدعوة ما أمكنه، ويعودوا مرة أخرى:

(يا أبا طالب إن لك سناً وشرفاً -فينا- وإن قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا! وإنا والله لا نصبر على هذا، من شتم آبائنا، وتسفيه أحلامنا وعيب آلهتنا، حتى تكفه عنا، أو ننازله وإياك في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين)[١].

---

(١) البداية والنهاية، ج٣، ص٤٧.

وهـنا بانت نبرة الحرب والمواجهة المسلحة في لكنة عتاة قريش فهل الوقت يسمح بالنزال والمواجهة وهل هي في مصلحة الدعوة الفتية؟

والجـواب واضـح، إن الـوقت والـزمان ليسـا فـي صـالح النبـي ﷺ ودعـوته إذن فلابـد لأبـي طالب أن يبدي موقفاً يهدأ من فورة قريش ودون أي تـنازل عملـي من جانب جبهة الحق فلابد لأبي طالب أن يوصل الرسالة للنبـي حتـى ترضـى قـريش، ولابد أن ترى قريش أن أبا طالب متعاون معها وأنـه يـبذل قصـارى جهده معها فيبقى بعد ذلك محتفظاً بمكانته عندهم قوياً مـرهوب الجانـب تُخشـى سـطوته وهـو مع ذلك إلى جانب قريش وتخشى قـريش مـن تحـوله ضـدها فتبقى سيوفهم بعيدة عن الحراك، وهو المطلوب عند أبي طالب.

لـذا نجد أبا طالب يبلغ الرسالة إلى النبي ويبدي تعاوناً مع قريش وهو يعـرف الجـواب مسـبقاً من ابن أخيه النبي ﷺ يعرف جواباً مرتبطاً بالسماء بعـيداً عن الأهواء فبلّغ النبي ﷺ حديث وفد قريش كما قالوا: (يا أبا طالب أن لـك سـناً وشرفاً ومنزلة فينا وإنا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا! وإنـا والله لا نصـير علـى هـذا، من شتم آبائنا، وتسفيه أحلامنا، وعيب آلهتنا، حتى تكفه عنا، أو ننازله وإياك في ذلك، حتى يهلك أحد الفريقين)[1].

وهـنا يقـول: للعلـة التـي ذكـرناها آنفـاً (فأبـق علـي وعلـى نفسك، ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق).

---

(١) البداية والنهاية، ابن الأثير، ج٣، ص٤٧.

ويفرح أبو طالب ويبتهج ويكبر جواب ابن أخيه النبي المصطفى وهو ينقله لقريش، إذ قال المصطفى ﷺ: **«يا عماه! لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله، أو أهلك فيه، ما تركته»**[١].

ويتضح من هذا الموقف أمران:

الأول: أن قريش سوف تصعد من مواجهتها للنبي ولأبي طالب ولن تدخر جهداً في تصعيد المواجهة.

ثانياً: إن أبا طالب سوف ينتقل إلى مرحلة جهادية أصعب، ولابد له من الاستعداد لمواجهة أكبر دعماً للنبي ﷺ من ناحية أخرى، لذا نجد شيخ البطحاء أبا طالب العظيم لا يتريث في بلورة هذا الموقف الجديد الداعم للنبي ﷺ في تصريح جديد للملأ، وللعالم والتاريخ، إذ قال لابن أخيه المصطفى ﷺ صاغها من نور ونار، نور لرسول الله ونار على قريش:

(اذهب يا ابن أخي فقل ما أحببت، فوالله لا أسلمك لشيء أبداً)[٢].

ثم هدر شعراً هو نور وإيمان:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم ... حتى أوسَّد في التراب دفينا

فأصدع بأمرك ما عليك غضاضة ... وأبشر بذاك وقر منك عيونا

ودعوتني وعلمت أنك ناصحي ... ولقد صدقت وكنت ثمَّ أمينا

---

(١) تاريخ الطبري، ج٣، ص٣٢٦.

(٢) الطبري ج٢ ٦٤- ٦٧، السيرة النبوية ج١ ص١٩٦، والحلبية والهاشمية.

ولقـد علمـت بـأن ديـن محمـد   مـن خيـر أديـان البـرية ديـنا[١]

وتـرى مواقـف هـذا الجبل الأشـم العملاق أبي طالب شيخ البطحاء، التـي تكشـف عـن مكنونه، وهي ليس إلا قليلاً من كثير وصلنا سناه رغم ما يعتـري الأجـواء مـن ظلمة العداء والبغضاء لآل النبيﷺ وسوف نستعرض بعضاً من مواقفه الكريمة مع رسول اللهﷺ وجبهة الحق.

بئس الصفقة ونعم الموالي

وكمـا يشـير الإمام جعفر بن محمد الصادقعليه السلام عندما قال: الحمد لله الذي جعل أعداءنا من الحمقى جاءت قريش من فرط حيرتها في قوة دعوة النبـيﷺ تعرض على أبي طالب هذا العرض السخيف إذ جاءوه وقالوا له: (يـا أبـا طالب هذا عمارة ابن الوليد فخذه، فلك عقله ونصرته، وأتخذه ولداً، فهـو لـك، وأسـلم لـنا ابـن أخـيك، هذا الذي قد خالف دينك، ودين آبائك، وفرق جماعة قومك، وسفه أحلامهم فنقتله، فإنما هو رجل برجل).

فيجيبهم أبو طالب: (والله: لبئس ما تسومونني، أتعطونني أبنكم أغذوه لكم وأعطيكم ابني تقتلونه! هذا والله لا يكون أبداً)[٢].

ثورة أبي طالب عندما افتقد النبي

الموقـف الـذي يكشـف عـن ماهـية أبـي طالب لو أصيب النبي بأذى

---

(١) السيرة النبوية ص٨٥ وص١٩٧، هشام دامية ص١٦٧، الكشاف ج١ ص٤٤٨.

(٢) البداية والنهاية، ج٣، ص٤٨.

موقف كشف ما لرسول الله صلى الله عليه وآله من مكانة في وجدان أبي طالب وموقف كشف ما يكون أبو طالب وما يستطيع أن يفعل في قريش لو تعدت على النبي صلى الله عليه وآله، فقد افتقد أبو طالب مرة رسول الله وفي فترة كانت قريش تهدد وتتوعد باغتياله فبحث عنه فلم يجده، فهجم الحزن في قلبه ودب الخوف على حياة النبي في جوانبه فثارت ثائرته فأرسل إلى فتيان بني هاشم عشيرة المصطفى صلى الله عليه وآله، وأمر كلاً منهم أن يخبئ تحت ثيابه سلاحاً حاد الشفرة وأمرهم أن يقف كل واحد منهم عند زعيم من رجال قريش، والغاية واضحة فهم في انتظار إشارة من أبي طالب فإن رأى ما يسوئه في النبي فإن رؤوس هؤلاء الكفرة لن تكون إلا بجانبهم في لحظة واحدة، هذا هو أبو طالب حصن النبي المنيع الذي نصر الله به نبيه وهو الشوكة التي أقذت عيون مشركي قريش وعتاتهم فكان لهم رمحاً مسلطاً في صدورهم لا يستطيعون فيه حراكاً باتجاه الدين قيد أنملة.

ويبتهج وجه أبي طالب ويشرق نوراً عندما يجد ابن أخيه سالماً من أي أذى وتهدأ روعته ولكنه لا يفوت هذه الفرصة ويستغلها ليبين لقريش حقيقة قوة النبي صلى الله عليه وآله، فأخذ بيد النبي صلى الله عليه وآله وصاح: (يا معشر قريش: هل تدرون ما هممت به؟ وأمر فتيانه أن يكشفوا عن أسلحتهم ففعلوا، فبان الانكسار في وجوههم الكالحة وكان أشده وضوحاً على وجه أبي جهل، وقال لهم: (والله لو قتلتموه ما أبقيت لكم أحداً، حتى نتفانى نحن وأنتم)[1].

---

(١) الحجة ٦١، أبو طالب ٦٧.

ويدون أبو طالب هذه الحادثة شعراً كعادته إذ يكشف به مكنون حبه وولائه وعاطفته تجاه النبي الأكرمﷺ:

إلا أبلغ قريشاً حيث حلت ... وكل سرائر منها غرور
فإني والضوابع عاديات ... وما تتلوا السنافرة الشهور
لآل محمد راع حفيظ ... وود الصدر مني والضمير
فلست بقاطع رحمي وولدي ... ولو جرت مظالمها الجزور
أيأمر جمعهم أبناء فهر ... بقتل محمد ... والأمر زور
فلا وأبيك لا ظفرت قريش ... ولا أمّت رشاداً إذ تشير
بُنيّ أخي ونوط القلب مني ... وأبيض ماءه غدق كثير
وبشرب بعده الولدان رياً ... وأحمد قد تضمنه القبور
أيا ابن الأنف أنف بني قصي ... كأن جبينك القمر المنير

موقف أبي طالب عندما يتعرض النبيﷺ للأذى والإهانة

عندما تخشى قريش أن تقترب من رسول الله باعتداء دموي وقد علمت أن ذلك خطاً أحمر لا يمكن الاقتراب منه مع وجود أبي طالب، فقد لجأت إلى أسلوب الإهانة لتحطم بذلك شخصية النبي فتثنيه عن اداء دعوته بهذه الطريقة، فكانوا يدعونه بالساحر تارة والمجنون تارة أخرى، وهكذا حتى وصلت القضية إلى نقطة أبلغ وتعدت اللسان، ومرة وقد كان رسول اللهﷺ غائباً في ملكوت الله وهو يناجي الله أثناء صلاته وإذا بعبد الله بن الزبعري يتقدم آثماً ويلقي بدم وفرث جزور ويلقيه على رسول الله وهو ساجد.

والله يعلم كم من الألم والأسى أصاب قلب الحبيب المصطفى فهو الأعز على وجه الكون بعد الله وتوجيه هذه الإهانة له لها أبلغ الأذى في نفس رسول الله ﷺ وليس للنبي ﷺ غير عمه أبي طالب يلجأ إليه فيخبره بهذا المصاب الجلل، وقال النبي لعمه انسبني من أنا؟

وما إن سمع أبو طالب بهذه النائبة حتى طاش غضبه لله ورسوله وأخذ أبن أخيه وذهب إلى جمعهم وسيفه على عاتقه وما أن أحسوا بقدومه حتى أرادوا الهروب فصاح بهم: (والله لئن قام رجل جللته بسيفي).

فلصقوا بالأرض ... وهم يعرفون من هو أبو طالب إذا غضب لرسول الله ويعرفونه فكأنه منهم وألتفت لابن أخيه:

يا بني من الفاعل بك هذا ...؟

فدله الرسول على ابن الزبعري ... وأدناه إليه فوجأ أنفه، ثم مر بالدم والفرث على القوم ولطخ به وجوههم ولحاهم وثيابهم، وأغلظ لهم القول وكال لهم الإهانة وعاد لأبن أخيه، يقول له بلهجة المنتصر والمنتقم: (يا ابن أخي: أرضيت؟ سألت من أنت؟ أنت محمد بن عبد الله - وسرد النسب الشريف، أنت والله أشرفهم حسباً، وأرفعهم منصباً ...

يا معشر قريش، من شاء منك أن يتحرك، فليفعل ...؟ أنا الذي تعرفوني. واردف قائلاً:

أنـــــت النبـــــي محمـــــد	قـــــرم أغـــــر، مســـــوّد
لمســـــوّدين أكـــــارم	طابـــــوا وطـــــاب المـــــولد
نعـــــم الأرومـــــة أصـــــلها	عمـــــرو الحطـــــيم الأوحـــــد

هشم الربيكة في الفجان ... وعيش مكة أنكد
فجرت ذلك سنة ... فيها الخبيزة تثرد
ولنا السقاية للحجيج ... بها يماث العنجد
والمأزمان وما حوت ... عرفاتها والمسجد
أنى تضام ولم أمت ... وأنا الشجاع العربد
وبطاح مكة لا يرى ... فيها نجيع أسود
وبنو أبيك كأنهم ... أسد العرين توقدوا
ولقد عهدتك صادقاً ... من القول لا تتزيد
ما زلت تنطق بالصواب ... وأنت طفل أمرد[1]

(١) شرح الحديدي ج٣، ص٣١٥، هاشم: ص١٧٣.

موقفه وأصحاب النبي صلى الله عليه وآله

ونرى كيف ثأر للصحابي الجليل القدر عثمان بن مضعون والذي كان أول من دفن في البقيع، الذي عذبته قريش لإيمانه وإسلامه ثم صاغ هذه التحفة الشعرية:

أمن تذكر دهر غير مأمون	أصبحت مكتئباً تبكي كمحزون
أم من تذكرُ أقوام ذوي سفه	يغشون بالظلم من يدعو إلى الدين
إلا ترون أذل الله جمعكم	أنا غضبنا لعثمان بن مضعون
وتمنع الضيم من يبغي مضيمتنا	بكل مطرود في الكف مسنون
ومرهفات، كأن الملح خالطها	يشفي بها الداء من هام المجانين
حتى تقر رجال لا حلوم لها	بعد الصعوبة بالاسماح واللين
أو تؤمنوا بكتاب منزل عجب	على نبي كموسى أو كذي النون[1]

وعندما تعذب قريش أبا سلمة بن عبد الأسد المخزومي لإسلامه لم يجد من يفزع إليه سوى الركن الحصين للمسلمين أبي طالب، فاستجار به ليمنعه من جبابرة قريش وقد فعل، وخلصه من بطشهم.

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ج٣، ص٣١٢، هاشم: ص١٦٤.

موقفه مع ملك الحبشة

ويمتد دعمه للمسلمين إلى خارج مكة وخارج الجزيرة فعندما هاجر ابنه ذو الجناحين جعفر بن أبي طالب مع مجموعة من المسلمين الذين فروا من بطش قريش أرسلت قريش في أثرهم عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد ليحوكوا ضدهم موقفاً معادياً من ملك الحبشة، لكن جعفر بن أبي طالب بفطنته ونور إيمانه تصدى لمكر قريش ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾(١) ومن خارج الحبشة يرسل أبو طالب إمداداً معنوياً لجبهة المؤمنين ودعماً إعلامياً يسند ويقوي موقفهم وجبهتهم وحيث أن أبا طالب يملك شعراً عذباً كماء الغدير وله نور يمشي به إلى القلوب النيرة وبه جمر مستعر لأعداء الحق فيكون شعره جيشاً وعتاداً ومالاً في نصرة الحق فيرسل إلى ملك الحبشة هذه الأبيات:

ألا ليت شعري كيف في الناس جعفر ... وعمرو وأعداء النبي الأقارب؟
وهل نال إحسان النجاشي جعفراً ... وأصحابه أم غاله عن ذاك شاغب؟
تعلم أبيت اللعن أنك ماجد ... كريم فلا يشقى إليك المجانب
تعلم بأن الله زادك بسطة ... وأسباب خير كلها بك لازب

ورغم أن النجاشي رجل كريم إلا أن مدح أبي طالب له كان بمثابة الشكر الذي زاد على أثره النجاشي في إكرام جعفر والمسلمين الذين معه.

ويبلغ ذلك أبا طالب فيقوم بدوره فهو لا يكاد أن يجد فرصة يدعوا

---

(١) سورة الأنفال: ٣٠.

فيها للإسلام إلا ويؤديه على أكمل وأعلى وأتم وجه فهو وولداه جعفر وعلي هم الدعاة المخلصون لدين الرسول العظيم، فيخاطب ملك الحبشة داعياً له للدين قائلاً:

ليعلم خيار الناس أن محمداً	نبي كموسى والمسيح ابن مريم
أتى بالهدى مثل الذي أتيا به	فكل بأمر الله يهدي ويعصم
وأنكم تتلونه في كتابكم	بصدق حديث لا حديث الترجم
فلا تجعلوا لله نداً وأسلموا	فإن طريق الحق ليس بمظلم
وإنك ما تأتيك من عصابة	لقصدك إلا أرجعوا بالتكرم[1]

ألا يعني هذا الشعر هذه العبارات التالية: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله. ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾.

(١) العباس ص٢٢، مجمع البيان ج٧، ص٣٧.

أبو طالب يتجلى

في محنة شعب أبي طالب

تعلو الدعوة فيزداد حنق قريش وبطشهم ضد المسلمين، فتنتقل المواجهة إلى مستوى أعلى بين جبهة الحق وشرذمة الباطل من أذناب قريش.

وطبعاً المواجهة هنا بين معتدين شرسين هم عتاة قريش والمعتدى عليهم هم جبهة الحق جبهة النبي وأتباعه وعلى رأسهم أبو طالب فهو الذي سيتلقى الضربات وعليه أن يصمد ويصبر ويتجلد ويعاني أشد المعاناة.

وهنا المحك الذي يكشف الذهب من غيره من المعادن الزهيدة [وأبو طالب لا يحتاج لإثبات معدنه عند العارفين به ولكن عند من جهله ستتوضح أكثر ماهية معدن هذا العملاق العظيم].

لقد قررت قريش أن تقاطع كل الهاشميين وبني عبد المطلب مقاطعة اقتصادية واجتماعية فلا يتبايعون معهم ولا يتزاوجون وأن يكونوا يداً واحدة ضدهم وحرباً عليهم ولن يتراجعوا عن هذه القرارات التي علقت بالكعبة كوثيقة إلا أن يسلموهم النبي ويتخلون عنه.

إن أبا طالب ليعلم إن هذا الحصار والحرب الاقتصادية سوف تسقط الكبير قبل الصغير من الجوع والمرض والأسى، وظنت قريش بأنها سوف

تحط من عزيمة أبي طالب ولن يصمد أمام هذا الأعصار وسوف تهوى إرادته ويتهشم أمام ضربة قريش المجتمعة الشديدة وما يكاد يسمع أبو طالب بهذه المكيدة اللعينة والتي ستطال الطفل قبل الشاب والهرم الضعيف قبل القوي حتى بدأ بالاستعداد للمواجهة مباشرة دون أدنى ضعف أو تردد فكان شعره بمثابة البيان الأول في الرد على قريش، إذ قال:

يرجُّون منا خطة دون نيلها	ضراب وطعن بالوشيج المقوم
كذبتم وبيت الله حتى تفلقوا	جماجم تلقى بالحطيم وزمزم
وتقطع أرحام وتنسى حليلة	حليلاً ويغشى محرم بعد محرم
على ما مضى من مقتكم وعقوقكم	وغشيانكم من أمركم كل مآثم
وظلم نبي جاء يدعو إلى الهدى	وأمر أتى من عند ذي العرش قيم
فلا تحسبونا مسلميه فمثله	إذا كان في قوم فليس بمسلم[(١)]

كان هذا جزءاً مما قاله أبو طالب في استعراض لقوة موقف وعزيمة وعقيدة راسخة لم تعرفها قريش من قبل، وفي خطوة ثانية اجتمع شيخ بني هاشم بعشيرته وأجمعوا أن يأووا إلى الشعب وفيهم نور الله في أرضه رسول الله ﷺ ليكونوا في مأمن من غدر قريش وهناك كان التحدي في نصرة الرسول المصطفى وكان مثله للتفاني في حماية النبي من قبل أبي طالب، تفان لم يعرف التاريخ من قبل فكان إذا جن الليل وآوى النبي ﷺ إلى فراشه وكذلك الإمام علي عليه السلام عمد أبو طالب إلى تبديل مكان النبي بمكان

(١) شرح النهج لأبن أبي الحديد ج٣، ص٣١٢.

الإمام علي عليه السلام وينام علي عليه السلام مكان النبي ويكرر هذا العمل مراراً حتى إذا كان هناك غدر في اغتيال النبي يكون الإمام علي عليه السلام من يتلقى الضربة وينجو رسول الله صلى الله عليه وآله فكم هي مواقفكم مزهرة يا أبا طالب بعضها أجمل من بعض.

فعندما أخذ أبو طالب بيد الإمام علي عليه السلام لينام مكان ابن عمه رسول الله صلى الله عليه وآله قال الإمام علي: (يا أبت أني مقتول).

فيجيبه أباه بهذه الأبيات والتي يزين بها جبين التاريخ:

اصبرن يا بني فالصبر أحجى	كل حي مصيره لشعوب
قد بذلناك والبلاء شديد	لفداء الحبيب وابن الحبيب
لفداء الأغر ذي الحسب الثاقب	الباع والكريم والنجيب
إن تصبك المنون فالنبل تبرى	فمصيب منها وغير مصيب

ويجيبه الإمام علي عليه السلام وهو الذي لا حد لإيمانه وفدائه للنبي الكريم صلى الله عليه وآله، إذ يقول:

أتأمرني بالصبر في نصر أحمد	ووالله ما قلت الذي قلت جازعاً
ولكنني أحببت أن ترَ نصرتي	وتعلم أني لم أزل لك طائعاً
سأسعى لوجه الله في نصر أحمد	نبي الهدى المحمود طفلاً ويافعاً[1]

وتمضى الأيام على أبي طالب في الشعب قاسية مؤلمة وهو يشاهد الجوع والألم والمرض والأسى يدب في أفراد وأطفال ونساء بني هاشم

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ج٣، ص٣١٠.

وهو لا يستطيع أن يقدم لهم ما يسد حاجتهم أو يخفف آلامهم.

من جانب يرى نفسه مسؤولاً عن بني قومه وعشيرته ويعلم أن قريشاً تريد أن تضغط عليه ليسلمهم النبي فانتهاء معاناة شعبه بان يسلمهم النبي ﷺ وهذا هو المستحيل فهو حامي الرسالة وحامي صاحبها حتى الممات، وعندما نريد أن نقترب من نفسه العظيمة وما يختلج فيها نصغي إلى ما يقول من شعر وهو الذي لديه ديوان في أكثر من ٣٠٠٠ بيت كلها حكمة وفداء لله ورسوله، وفيما يقال في هذه المحنة في الشعب:

ألم تعلموا أن القطيعة مأثم	وأمر بلاء قاتم غير حازم
وان سبيل الرشد يعلم في غد	وان نعيم الدهر ليس بدائم
فلا تسفهن أحلامكم من محمد	ولا تتبعوا أمر الغواة الاشائم
تمنيتم أن تقتلوه وإنما	أمانيكم هذي كأحلام نائم
وأنكم والله لا تقتلونه	ولما تروا قطب اللحى والغلاصم
زعمتم بأنا مسلمون محمداً	ولما نقاذف دونه ونزاحم
من القول مفضال أبي على العدى	تمكن من الفرعين من آل هاشم
أمين حبيب في العباد مسوم	بخاتم رب قاهر في الخواتم
يرى الناس برهاناً عليه وهيبة	وما جاهل في قومه مثل عالم
نبي أتاه الوحي من عند ربه	ومن قال لا يقرع بها سن نادم

وهو هنا يواجههم اعلامياً يبين لهم سوء عملهم وانه لا طائلة منه ولن يصلوا إلى مآربهم ولن يوقفوا هذا المد السماوي والنتيجة ستكون عليهم فما فائدة هذا العمل الظالم وهو بذلك يحاول أن يوضح لهم الحقائق عسى

أن يفيقوا لرشدهم ويلقي بذلك عليهم الحجة ومن جانب آخر يدعم موقف النبي وأتباعه ولنا عودة في فصول أخرى إنشاء الله إلى ما تحويه هذه الأبيات إن أمكن.

وتمر الأيام والشهور سوداء ثقيلة أليمة حزينة ويكمل النبي وعشيرته في هذا الحرمان عامهم الثالث، وفي يوم يخبر النبي الأكرم عمه بنبأ سار لقد أخبره النبي بأن الله قد سلط الأرضة على صحيفة المقاطعة المعلقة في الكعبة فأكلتها إلا كلمة واحدة وهي اسم الله، وهكذا قد أخذ أبو طالب في يده ذخيرة يواجه بها كيد قريش ويفحمهم، فذهب في كوكبة تلفه من بني هاشم إلى المسجد الحرام.

ولما رأتهم قريش سرهم إذ ظنوا أنهم جاءوا يسلمونهم النبيﷺ فبادرهم أبو طالب وهو الذي يعرف كيف يدير الحوار بفطنة وذكاء ويخرج بنتيجة تصدع أركان باطلهم: (يا معشر قريش جرت بيننا وبينكم أمور، لم تذكر في صحيفتكم فأتوا بها، لعله يكون بيننا وبينكم صلح).

وعندما رأى الصحيفة في أيديهم قال: (أتيتكم في أمر، هو نصف بيننا وبينكم ... إن ابن أخي أخبرني ولم يكذبني قط، إن الله قد بعث على صحيفتكم دابة، فلم تترك فيها إلا اسم الله فقط، فإن كان كما يقول، فأفيقوا عما أنتم عليه، فوالله لا نسلمه حتى نموت من عند آخرنا، وإن كان باطلاً، دفعناه إليكم، فقتلتم أو استحييتم...).

ففتحوا الصحيفة فبهتوا ... لكنهم أصروا على عنادهم وقالوا: (هذا سحر ابن أخيك).

فنادى فيهم أبو طالب: (علامَ نُحصر وقد بان الأمر وتبين أنكم أولى بالظلم والقطيعة).

ثم تمسك ومن معه باستار الكعبة مبتهلين إلى الله (اللهم أنصرنا على من ظلمنا وقطع أرحامنا واستحل ما يحرم عليه منا).

وهكذا قد صدع أبو طالب جمع قريش وزرع بينهم الاختلاف بحكمته وحجته فأنشق من قريش فئة سعت إلى نقض هذه الصحيفة ورفضها فإنهار الحصار ورفع الله عن نبيه وبني هاشم هذه المحنة وخرجوا منها منتصرين ثابتين في هذا الامتحان الإلهي الذي زادهم إيماناً وصلابة وقوة في إبلاغ الدعوة ونشرها، ويصدّر أبو طالب بيانه الشعري، إذ يقول:

وقد كان في أمر الصحيفة عبرة ... متى ما يخبر غائب القوم يعجب

محا الله منها كفرهم وعقوقهم ... وما نقموا من ناطق الحق معرب

فأصبح ما قالوا من الأمر باطلاً ... ومن يختلق ما ليس بالحق يكذب[1]

وقال في أبيات أخرى:

ألا هل أتى بحرينا صنع ربنا ... على نأيهم والله بالناس أرود

فيخبرهم ان الصحيفة مزقت ... وإن كل ما لم يرضه الله مفسد

تراوحها أفك وسحر مجمع ... ولم يلف سحر آخر الدهر يصعد

تداعى لها من ليس فيها بقرقر ... فطائرها في رأسها يتردد

---

(١) ابن الأثير في الكامل ج٢، ص٦١- ٦٢.

فمن ينشَ من حصار مكة عزه ... فعزتنا في بطن مكة أتلد

نشأنا بها والناس فيها قلائل ... فلم ننفك نزداد خيراً ونحمد

ونطعم حتى يترك الناس فضلهم ... إذا جعلت أيدي المغيضين ترعد

ألا إنه خير الناس نفساً ووالداً ... إذا عُدّ سادات البرية أحمد

نبي الإله والكريم بأصله ... وأخلاقه وهو الرشيد المؤيد

جرئ على حلّي الخطوب كأنه ... شهاب بكفي قابس يتوقد

من الأكرمين من لوي بن غالب ... إذا سيم خسفاً وجهه يتربد

طويل النجاد خارج نصف ساقه ... يحضُّ على مقرى الضيوف ويحشد

ويبني لأبناء العشيرة صالحاً ... إذا نحن طفنا في البلاد ويمهد

ونترك لك أخي القارئ الكريم التأمل في هذه الأبيات، وقل أليس حرياً أن نحفظ هذه الأبيات وأن نحفظها أبنائنا في المدارس.

الخطب الجليل في الرحيل
ووصيته الأخيرة

وتمضي سني حامي النبي المليئة بالجهاد والنضال في كشف الكرب عن وجه النبي الأكرمﷺ، دفاعاً عن الدين والعقيدة وقد آن له أن يلاقي ربه فائراً، رابحة تجارته مع الله، ولكن هذا البطل شأنه شأن كل حكيم عالي الشأن لا ينسى رسالته حتى في ساعات الاحتضار بل على العكس فإنه يركز في ساعاته الأخيرة أشد تركيز على أهدافه لأنه ماضٍ عنها، وهكذا يكشف الإنسان عن جوهره بما يبوح به وهو يودع هذه الدنيا، إذ إن الإنسان في هذه اللحظات عادة ما يكون مشغولاً بنفسه متحسراً على ما سيترك من أحبه وأعزه، فلنلقي نظرة على جوهر هذا الرجل من خلال الإطلاع على ما سيوصي به عند الاحتضار.

بصوت ملؤه الهيبة والوقار يوصي أبو طالب في جمع من وجهاء قريش وصاياه الأخيرة: **«يا معشر قريش أنتم صفوة الله من خلقه، وقلب العرب وفيكم السيد المطاع، وفيكم المقدم الشجاع، الواسع الباع، وأعلموا:**

١- أنكم لم تتركوا للعرب في المآثر نصيباً، إلا أحرزتموه ولا

شـرفاً إلا أدركـتموه، فلكـم بذلك على الناس الفضيلة، ولهم إليكم الوسـيلة، والـناس لكـم حـرب وعلـى حربكم ألب، وأني أوصيكم بتعظـيم هـذه ا لبنـيّة (يقصـد الكعبة) فإن فيها مرضاة الرب، وقواماً للمعـاش، وثـباتاً للـوطأة، صلوا أرحامكن، ولا تقاطعوها، فإن صلة الرحم منسأة في الأجل وزيادة في العدد.

واتـركوا البغـي والعقـوق ... فيها هلكت القرون قبلكم، أجيبوا الداعـي، وأعطـوا السـائل، فإن فيها شرف الحياة والممات، وعليكم بصـدق الحـديث وأداء الأمانـة فـإن فيها محبة الخاص ومكرمة في العام.

وأني أوصيكم بمحمد خيراً فإنه الأمين في قريش والصديق في العـرب وهـو الجامع لكل ما أوصيكم به ... وأيم الله كأني أنظر إلى صـعاليك العرب وأهل الأطراف والمستضعفين من الناس، قد أجابوا دعـوته وصـدقوا كلمته وعظموا أمره ... فخاض بهم غمرات الموت وصـارت رؤسـاء قريش وصناديدها اذناباً، ودورها خراباً وضعفاؤها أرباباً، وإذا أعظمهم عليه أحوجهم إليه، وأبعدهم منه أحضاهم عنده، قد محضته العرب ودادها، وأصفت له فؤادها، وأعطته قيادها.

دونكم يا معشر قريش ابن أبيكم كونوا له ولاة ولحزبه حماة.

والله لا يسـلك أحـد سـبيله إلا رشد، ولا يأخذ أحد بهديه إلا سعد.

ولـو كـان لنفسـي مدة، وفي أجلي تأخير، لكففت عنه الهزاهز ولدافعت عنه الدواهي»[١].

ثـم شـاء أن يخص بني هاشم وبني عبد المطلب في اتباعهم النبي، إذ يتابع فيقول:

يا معشر بن هاشم: أطيعوا محمداً، وصدقوه، تفلحوا وترشدوا.

ثـم خـص مـن بنـي هاشـم أربعـة ليـبذلوا النصـرة للنبـيﷺ بأقصـى قدرتهم:

أوصـي بنصـر نبـي الخيـر أربعـة	ابنــي علــياً وعــم الخيــر عباســاً
وحمـزة الأسـد المخشـي صولته	وجعفــراً أن تــذودوا دونــه الناســا
كونـوا فداء لكم أمي وما ولدت	فـي نصـر أحمـد دون الناس اتراسا
بكـل أبـيض مصـقول عوارضـه	تخالــه فــي ســواد اللــيل مقباســا

بهـذا الحـب العمـيق للنبـيﷺ وبهذا الإخلاص وبهذا الإيمان وبهذا الـدعم الصادق وبهذا الإيمان العميق أي بهذه الصفحة الرائعة الناصعة النقية شاء أبو طالب أن ينهي حياته وبعدها يمضي يلاقي ربه حيث تستقبله رحمة الإلــه العظــيم وقــد أدى الأمانــة فــي احتضــان حبــيب الإلــه المصــطفى محمدﷺ.

عام الأحزان

مـا أن يصـل خبر موته لمسامع الرسولﷺ من الإمام عليعليه السلام حتى

---

(١) السيرة النبوية ص٨٦، والحلبية ص ٣٩٠.

انهمرت دموع النبي غزاراً، وطفح الحزن الشديد عن وجهه الكريم فقد ذهب حاميه وكافله وناصره، ذهب القلب الرؤوف ذو النفس الطاهرة العالية السامية، ذهب الذي جعل من حياته كلها وأبنائه كلهم ووجوده كله درعاً واقياً للرسالة وصاحبها لدين الله الحنيف يتقي به كل الضربات وهو سعيد، فحق لرسول الله ﷺ حزنه الشديد، وبحق سمى عام وفاته (عام الأحزان) ويتوجه النبي ﷺ لابن عمه علي عليه السلام قائلاً وقد أخذ الحزن منه مأخذاً: «أمضي فتولَ غسله فإذا رفعته على سريره فأعلمني».

وفي رواية عبيد الله ابن أبي رافع يتحدث عن علي أن رسول الله انهمرت عيناه بالدموع الغزار وقال في رواية (غفر الله له ورحمه)[1].

وبعد أن جهزه علي عليه السلام قام رسول الله ﷺ إلى الجنازة مشيعاً عمه الذي كان له أبا رحيماً وهو يبين شيئاً من فضله، إذ يقول ﷺ: «وصلتك رحم - يا عم- وجزيت خيراً، فلقد ربيت وكفلت صغيراً ونصرت وآزرت كبيراً»[2].

وسار رسولا لله ﷺ مشيعاً الجنازة إلى لحده، حتّى إذا ألحد وقف ﷺ وقال: «أما والله لاستغفرن لك ولاشفعن فيك شفاعة يعجب لها الثقلان»[3].

---

(١) السيرة النبوية، ج١، ص٨٤

(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد ج٣، ص٣١٤.

(٣) نفس المصدر. (من المعروف أن كل ابن آدم محتاج لشفاعة المصطفى يوم القيامة).

وهاهو رسول الله يبين للعالم مكانة عمه أبي طالب عندما يندبه قائلاً مدوياً: (وا أبتاه، وا أبا طالباه، وا حزناه عليك يا عماه، كيف أسلوا عنك يا من ربيتني صغيراً، وأجبتني كبيراً، وكنت عندك بمنزلة العين من الحدقة والروح من الجسد)[1].

وعندما يذهب الحصن الذي كان يحمي رسول الله تشرئب أعناق القوم أعداء الله لأذى النبي، إذ يصرح بذلك النبي ﷺ: (ما نالت مني قريش شيئاً أكرهه، حتى مات أبو طالب)[2].

وقال ﷺ: «يا عم ما أسرع ما وجدت فقدك».

وإذ حما الله عز وعلا رسوله بعمه أبي طالب فهذا هو النداء الإلهي يأتيه بالأمر المدبر في الحديث القدسي: (أخرج منها - أي مكة- فقد مات ناصرك)[3].

---

(١) الإصابة في معرفة الصحابة، ابن حجر، ج٧، ص١١٢، طبعة مصر، سنة ١٣٢٥.

(٢) السيرة النبوية ج١، ص٨٨ و ص٢٨١، والحلبية ج١، ص٣٩١، والطبري ج٢ ص٨ وابن الأثير ج٢ ص٦٢.

(٣) النهج ج١، ص١٠.

الإساءة لأبي طالب والهداية الإلهية

بعد هذه الجولة السريعة والومضة الخاطفة من حياة أبي طالب الناصعة نريد أن نقف وقفة يفترض أن تكون عجيبة ولكنها صارت لدى البعض أمراً مألوفاً كما أصبح المنكر معروفاً والمعروف منكراً كما أخبر بذلك النبي صلى الله عليه وآله: (كيف بكم إذا صار المعروف منكراً والمنكر معروفاً).

الوقفة العجيبة هي مع أناس يصدقون من يقول بأن أبا طالب - والعياذ بالله- لم يؤمن، بل كان كافراً ومات كافراً.

ووقفتنا ليس مع من يقولون هذا القول بل مع أولئك الذين يصدقون كل ما يسمعون، ولابد لنا من هذه الوقفة، ولابد لنا من استعراض هذه الأدعاءات، هذا هو أسلوب القرآن، إذ يقف مع كل الأعاجيب والأكاذيب رغم تفاهتها وعدم ارتقائها إلى مستوى الاعتبار، فقد جاء في كتاب الله ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[1].

فمنهم من يقول: (أبو طالب كافر) ... وقد عمل ما عمل وقال ما قال، وجاهد ما جاهد، وضحى ما ضحى!! لكن لابد لنا من الإصغاء والرد رغم تفاهة القول ودناءته، وقد أصغى القرآن ورد على أعظم من هذا الكلام

---

(١) سورة إبراهيم:١٠.

وهو نفي وجود الله أو الشك فيه ولنا في القرآن أسوة حسنة.

وكما قلنا فإننا سوف نناقش أولئك الناس الذين صدقوا الادعاءات وليس مع أولئك الذين ليسوا على صواب ولهم غاياتهم وأهدافهم ويعرفون أنهم خاطئون كما يعرفون أنفسهم!!

فلأولئك الذين يصدقون هذه الادعاءات نوجه كلامنا.

جلسة مع العقل

سوف نتحاور ونتباحث قليلاً مع عقولنا التي عرفنا الله بها قبل كل خبر، عقولنا هي الكائنات التي أودعها الله القدرة على معرفة الخير من الشر، والسيء من الحسن، والمعقول من اللامعقول، ثم نعود بعد ذلك إلى الأحاديث والآيات القرآنية لنخرج بعد ذلك بصورة واضحة عن الحق والحقيقة نتجنب بها طريق الهلكة فنكون بإذن الله من الناجين!!

وأرجو منك أيها القارئ الكريم أن تتجرد ولو لفترة وجيزة من أي عصبية أو انحياز لقول أو رأي لفئة ولا بأس بالعصبية للحق المطلق كالقرآن الكريم أو القول الذي لا يختلف عليه أحد، وأكرر التجرد فقط لفترة وجيزة كي نستطيع أن نصل إلى الحقيقة إن كنت تنشدها!

فإذا استطعت أن تصل لهذا التجرد والحياد فاستمر بقراءة هذا الكتاب وإلا فأطرحه جانباً.

الهداية

الهداية بيد مَنْ؟

والجواب عندي وعندك واحد وهو الله تبارك وتعالى جل شأنه ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيّاً مُرْشِداً﴾[1]، ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلاَ أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾[2].

إذن فالله هو الذي يهدي، والهداية بيده.

والسؤال الثاني من الذي يهديه الله؟

وعلى أي أساس يهدي الله شخصاً معيناً دون آخر؟

وأظن بأن أجوبة كثيرة جداً وغير محدودة يمكن أن تكوّن مجلدات لهذا السؤال، ولكن بشكل مختصر فإن العقل يقول أن هناك أناساً يستحقون الهداية من الله وهم الذي يهديهم.

وأن هناك اناساً سيؤون لا يستحقون الهداية فيتركهم الله في غيهم يعمهون.

أليس هذا منطقياً؟

ونحن نشاهد في حياتنا العادية كيف أن أناساً طيبون يوفقهم الله لطيبتهم للهداية غالباً، بينما لا نجد الظالمين السيئين يوفقوا للهداية غالباً، أي إن الله يهدي قوماً على اعتبارات معينة ويترك آخرين لاعتبارات أيضاً، فلنبحث قليلاً وبشيء من الاختصار في الأسس التي على أساسها يهدي الله أناساً.

والأسس التي على أساسها لا يهدي الله أناساً أخرين.

---

(١) سورة الكهف: ١٧.

(٢) سورة الأعراف: ٤٣.

الأسس التي يهدي بها الله قوما ويترك آخرين

هناك نوعان من الهداية وهي من الله.

النوع الأول:

تكون عامة لكل الناس وهي الهداية التي تكون متساوية لكل الناس، إذ يقول الله عز وجل ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً﴾[١] وهي بمعنى الإرشاد إلى الطريق فكل إنسان يجد في نفسه إرشاداً إلى معرفة الحق وهو بدوره عليه أن يستفيد من هذه الهداية الأولى، فإذا تصرف بشكل إيجابي جاءته الهداية الثانية وإذا تصرف بشكل سلبي يتركه الله، وكذلك في آية أخرى ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[٢] بينما الله سبحانه وتعالى يشمل بعنايته من يستفيد من الهداية الأولى ويتصرف بشكل إيجابي ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾[٣] بينما تجد أن الهداية الثانية لا تصيب فئة سيئة لأنهم أساءوا رغم الهداية الأولى التي شملهم الله بها فأولئك لا يهديهم الله ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾[٤].

---

(١) سورة الإنسان ٣.

(٢) سورة فصلت: ١٧.

(٣) سورة محمد: ١٧.

(٤) سورة غافر: ٢٨.

فنجد أن الله لا يهدي أقواماً لهذه السلوكيات السلبية التي يمارسونها، بينما تشمل الهداية الإلهية أناساً لهم تصرفات إيجابية ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[(١)]، وهاهو سلمان المحمدي جاء باحثاً عن الحقيقة، باحثاً عن رسول آخر الزمان، ومعه علامات آخر المرسلين فبحثه وعناءه جهاد في الله فتوصل إلى ما وصل إليه لأنه أراد الهداية بينما العتاة من قريش القريبون من رسول الله يشاهدون الحق بأعينهم وينكرون لأنهم أرادوا المصلحة العاجلة فكذبوا وأنكروا الحقيقة فلم يستحقوا هداية الله، والله سبحانه قد بين هذه الأمور في القرآن الكريم بشكل جلي فهو العادل يهدى على أسس ويترك على أسس أقواماً في طغيانهم يعمهون، وعلينا أن نفهم ونتدبر القرآن الكريم ونعي الحكمة الإلهية فنفهم الناس والأشخاص من رؤى قرآنية ووفق تفسير النبي وأهل بيته الذين أوصى بهم سفناً للنجاة: «مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق»[(٢)].

فهذا أبو سفيان الذي آذى رسول الله وحاربه حرباً لا هوادة فيها وظل من المعاندين والذين آذوا رسول الله حتى كاد رسول الله يقتل في أحد على أيديهم، ثم لا يسلم إلا ليلة فتح مكة خوفاً أفهذا يكون ممن استحق هداية الله ودخل الجنة إذ يهدية الله تعالى!!!؟

---

(١) سورة العنكبوت: ٦٩.

(٢) مجمع الزوائد: ج٩، ص١٦٨، وقال: رواه البزاز والطبراني.

وحتى في تلك الليلة تلجلج في الشهادتين ولم يكن يريد أن ينطق بهما لولا خوفه من سيوف المسلمين، فرغم تاريخه وما اقترف يضل من المهديين عند بعض الناس، فإنا لله وإنا إليه راجعون. وكيف تحكمون.

وفي المقابل نجد شخصاً يؤهله سلوكه بأن تتنزل عليه الهداية والفيوضات الإلهية بأجلى صورها، علمه ونهج حياته وجهاده في الله وتضحياته هي هداية بحد ذاتها تستحق زيادة الهداية، وأظنك أخي القارئ علمت من أريد وهو بيضة الحمد شيخ البطحاء حامي رسول الله ﷺ وحامي رسالة السماء عم رسول الله وحبيبه أبو طالب بن عبد المطلب.

صفاته، جهاده، سلوكه، تضحياته، علمه ومعرفته كلها مقومات تجعله مهبطاً لهداية الله فبالرغم من كل الدلائل التاريخية والحقائق المنطقية يأتي من يصدق بأنه لم يهده الله.

ولا أعلم لأي شيء تخطأ هداية السماء، وأي مصلحة لأبي طالب تجعله يرفض هداية الله، فهل - والعياذ بالله- بكفره يربح مالاً من قريش أم كان محباً لكفار قريش وكان يرجو رضاهم أم كان الكفر عنده شأناً ممدوحاً حتى يتمسك به؟

ما هي البواعث لعدم إيمانه؟

﴿إِنَّ اللَّـهَ لاَ يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾[1] فهل عند أبي طالب منها شيء والعياذ بالله.

---

(١) سورة غافر: ٢٨.

﴿إِنَّ اللَّـهَ لاَ يَهْـدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾(١) فهل كان أبو طالب منهم والعياذ بالله.

﴿وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾(٢) ماذا تقول؟

لو كان عندنا شيء يسير من الأنصاف لأدركنا الحقيقة ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾(٣) وهو تأكيد من الله عز وجل بالهداية فهل كان هناك أعظم جهاداً من أبي طالب في حمايته للدعوة في مهدها وجهاده من خلال أولاده (علي وجعفر) ونفسه ووجوده وحياته كلها من أولها إلى آخرها.

فأي منطق يقبل أن يكون قلب أبي طالب بعيداً عن الهداية السماوية، وقد أخبرنا تعالى بأنها تكون للمجاهدين وهو من أكثرهم نصيباً وأوفرهم حظاً في هذا السبيل.

بل هو المهدي وقد زاده الله هدى ونوراً وهداه الله سبله التي قادته إلى حماية رسول الله رغم كل المصائب الصعاب التي أصابته طوال حياته ولقد أجاد ووفى ولقد أحبه رسول الله وأحبه الله وأحبه المؤمنون جميعاً.

في نقطة نهائية نقول من يهديه الله؟

الله يهدي من يستحق الهداية ويستحقها من خلال أفعاله وتصرفاته،

---

(١) سورة الأحقاف: ١٠.

(٢) سورة الصف: ٥.

(٣) سورة العنكبوت: ٦٩.

فهل يستحق أبو طالب الهداية؟

ما هي أفعاله وتصرفاته؟

إن أعظم كائن في الوجود هو النبي محمدﷺ ومن يكون الأكثر عوناً وناصراً له يكون هو الأعظم والأجل من دون الآخرين فهل هناك في زمان أبي طالب من كان أعظم خدمة وعوناً وناصراً للرسول من أبي طالب؟

ثم ماذا كانت أفعاله وتصرفاته وسلوكياته كي يستحق أو لا يستحق الهداية من الله؟

عندما ينصر أبو طالب الرسول فإنه ناصر للدين لأن الرسول كان هو الدين وليس عنده غير الدين، حياته وسكناته كانت كلها لله والدين، وعونه ونصرة أبي طالب كلها لهذا الدين الذي جاء مبشراً ونذيراً، الدين يحدد هذا للجنة وهذا للنار فهل ينصر أبو طالب ديناً يقول له أنت إلى النار؟

الدين معاناة وسلوك وتصرفات، وقد ورد في الحديث الشريف: «الدين المعاملة».

وهل كان هناك معاملة أو سلوك أو تصرفات أعظم من نصرة النبي ودينه، فلأي شيء يضل الله أبا طالب ولا يهديه وهل هناك هداية أكثر مما كان فيها أبو طالب؟

نسأل الله أن يهدينا ولو باليسير من الهداية التي هدى بها أبا طالب، فنجند حياتنا لله ونضحي من أجل دينه بكل ما أعطانا الله، فتربح تجارتنا.

إذن لماذا أتهم بالكفر والعياذ بالله، ولمن المصلحة في ذلك، ومن المستفيد؟

وراثة المظلومية

إذا أردنا أن نعرف السبب وراء تكفير أبي طالب والعياذ باله فعلينا أن نأخذ أمثلة لأشخاص أعظم من أبي طالب وقد كفرهم البعض هم داخل دائرة المسلمين، نعم لقد كفروا من هو أعظم من أبي طالب وهو أبنه علي بن أبي طالب عليه السلام فرغم عظم شأنه عليه السلام عند الله والنبي في القرآن فقد كفروه، ولعنوه على المنابر في بلاد المسلمين لمدة (٨٠) سنة آبان الدولة الأموية الجائرة، وهم يحسبون أنهم مأجورون على ذلك ولكي نعرف عظم الجريمة التي يقترفها أولئك، علينا أن نعرف شأن الإمام علي عليه السلام ومكانته في الإسلام، وبرغم ذلك كفروه ولعنوه فما قيمة ما نسبوه لأبي طالب عندهم.

ولنحاول أن نعرف شيئاً من فضل علي عليه السلام ولندخل بروية هذا البحر المتلاطم من المقام العظيم له عليه السلام ولنشاهد في المقابل التناقض القائم القائل عند البعض في نكرانه، فليقولوا ما يشاؤون والله يقول ﴿سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدّاً﴾[1] ﴿سَيَعْلَمُونَ غَداً مَنْ الْكَذَّابُ الأَشِرُ﴾[2] فهم مساكين ليس لهم إلا القول، وهو ضعيف ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا

---

(١) سورة مريم: ٧٩.

(٢) سورة القمر: ٢٦.

نُـورَ اللَّـهِ بِأَفْـوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾(١) ولكـن هذا القول الضعيف يؤدي بالكثيرين إلى نار جهنم.

نعم، ضعيف ويؤدي إلى نار جهنم، أليس إبليس يأخذ معه الكثير إلى جهنم.

والله يقـول ﴿إِنَّ كَـيْدَ الشَّـيْطَانِ كَـانَ ضَعِيفاً﴾(٢) فحذار حذار أيها الإنسان من هوى يأخذك إلى الهاوية، حيث لا ينفعك ندم.

---

(١) سورة الصف: ٨

(٢) سورة النساء: ٧٦.

الإمام علي عليه السلام

من هو الإمام علي عليه السلام؟

قبل أن نبدأ أسألك أيها القارئ سؤالاً فأجب عليه في نفسك ووجدانك.

لو جئتك بفضيلة للإمام علي عليه السلام وتراها كبيرة عليه من نفسك ولا تحتمل صحتها ثم جئتك بالمصدر من رسول الله وعن طريق الفريقين فهل ستذعن وتقبل وتسلم أم ستبحث عن التضعيف وعن مخرج يعفيك في القبول والتصديق أجب ثم أكمل القراءة.

يقول الحق: ﴿وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾[1] قبلته نفسك أم رفضته لأن النفس كما جاء ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾[2] ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾[3] فحذار حذار من نفسك ومن هواك ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ

---

(١) سورة الحشر: ٧.

(٢) سورة يوسف: ٥٣.

(٣) سورة النازعات: ٤٠- ٤١.

حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾[1].

وهنا سوف نذكر الشيء اليسير من فضائل الإمام علي عليه السلام وكل فضيلة منها لو لم يكن إلا هي لكفته فضلاً ومكانة عالية عند جميع المسلمين بعد الرسول صلى الله عليه وآله.

قبل أن نبدأ بسرد جملة يسيرة من فضائل الإمام علي عليه السلام لابد من توضيح أمر وهو إن الإمام علي عليه السلام إنسان غير عادي بتاتاً فعليه صارت الاختلافات وبه حارت العقول، فهو محط امتحان للأمة، وقد دخل النار به اثنان فمنهم من ألّه الإمام علي عليه السلام وقال هو إله ورب والعياذ بالله، ومنهم من جحده وكفره وسبه وقد حارب الإمام علي عليه السلام هاتان الفئتان لتفيئا إلى الحق، فمنهم من قبل الحق ونجا، ومنهم من عاند وهلك.

فكل ما يتعلق بالإمام علي عليه السلام غير عادي وغير طبيعي ولو أطلعت إلى ما جاء به عن رسول الله لهالك الأمر ولصدمت لو فكرت به ولو أطلعت على جزء من علمه لهالك الأمر ولصعقت من هول ما عنده من علوم ولا عجب في ذلك فهو باب مدينة علم الرسول صلى الله عليه وآله وكم هو علم الرسول أنه بحجم مدينة كاملة فكم تستطيع أن تضع من كتب وعلوم في مدينة؟

وبابها علي بن أبي طالب عليه السلام وهو القائل: «علمني رسول الله ألف

---

(١) سورة النساء: ٦٥.

باب من العلم يفتح لي من كل باب ألف باب»[١] لم يظهر منها إلا اليسير وسيظهر منه الكثير بظهور المهدي المنتظر كما جاء في الروايات الكثيرة حول اكتمال العقول وانتشار العلم في زمن ظهور الإمام المهديعليه السلام وعجل فرجه الشريف.

لعلم أن رسول لله ليس له إلا باب واحد وهو الإمام عليعليه السلام هكذا أراد الله ورسوله ومن أراد المدينة فليأتها من بابها ومن أبى فإلى الضياع والشتات، قد انتقل علم عليعليه السلام إلى الحسن ثم الحسين وهكذا إلى آخرهم كما أشار رسول اللهصلى الله عليه وآله (أهل بيتي فيكم كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك)[٢].

والمهم إن الإمام عليعليه السلام محور الدين بعد رسول الله، وهو امتداد لرسول الله عدا النبوة كما ستقرأ لاحقاً، هو جبل هو قمة، كما أشار عن نفسه في أحد المواقف الصعبة أبان الفتنة بعد قتل الخليفة الثالث حين اجتمع عليه الصحابة يرجونه قبول الخلافة عندما قال: (ينحدر عني السيل ولا يرقى إلى الطير)، في خطبة الشقشقية ولكن المسلمون بخسوه حقه وظلموه أيما ظلم ولذا جاء في الخبر أن أول من يجثو بين يدي الرحمان يوم القيامة هو الإمام عليعليه السلام كما جاء في الصواعق المحرقة عن البخاري

---

(١) بحار الأنوار، ج٢٦، ص٢٩. عن أبي جعفرعليه السلام قال: «قال عليعليه السلام:لقد علَّمني رسول الله ألف باب يفتح من كل باب ألف باب».

(٢) دعائم الإسلام، ج١، ص٨٠

عن علي رضي الله عنه : (أنا أول من يجثو بين يدي الرحمان للخصومة يوم القيامة)[1]، وجاء في الصواعق أيضاً ص١٢٧ عن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال سألت أبي عن علي ومعاوية فقال: اعلم أن عليا كان كثير الأعداء ففتش له أعدائه شيئاً فلم يجدوا فجاءوا إلى رجل قد حاربه وقاتله فأطروه كيداً منهم له). أو يذهبوا إلى أقربائه فيتهمونهم كما فعلوا تجاه أبي طالب عليه السلام وحاولوا جاهدين نزع فضائله عنه، وعبثاً حاول أعداءه والذين هم أعداء النبي صلى الله عليه وآله وأعداء الله قبل أن يكونوا أعداء علي.

على أي حالة فلنبدأ بذكر اليسير من فضائله لنعرف الجرم الذي أقترفه أعداءه، وقد أورد ابن حجر الهيثمي رغم تعصبه ضد مواليه أورد باباً خاصاً في فضائل الإمام علي عليه السلام، إذ لابد من ذكرها ليصنف نفسه من مواليه، فقد جاء في ص١٢٠ من صواعقه في فصل فضائله: (هي كثيرة عظيمة شهيرة حتى قال أحمد ما جاء لأحد من الفضائل ما جاء لعلي، وقال إسماعيل القاضي والنسائي وأبو علي النيسابوري لم يرد في حق أحد من الصحابة بالأسانيد الحسان أكثر ما جاء في علي، وقال الذهبي في تلخيص الموضوعات لم يرو لأحد من الصحابة من الفضائل أكثر ما روي لعلي رضي الله عنه، وقال الخليلي في الإرشاد قال بعض الحفاظ تأملت ما وضعه أهل الكوفة في فضائل علي وأهل بيته فزاد على ثلاثمائة ألف حديث والله أعلم، والكلام لا زال لابن حجر في صواعقه ص١٢١.

---

(١) الصواعق المحرقة: ١٢٦.

وسأبذل ما بوسعي أن تكون الفضائل مما ورد عن طريق السنة وليس عن طريق شيعة أهل البيت ولو أردنا أن نذكر فضائله بما ورد عن رسول الله من طريق أهل البيت لطال بنا المقام وطال ولقال قائل أنها ليست حجة على أهل السنة.

١- ولادته: فالإمام علي عليه السلام إمام الأعاجيب منذ ساعته الأولى في الحياة، منها أمه فاطمة بنت أسد المؤمنة التقية والتي ربت رسول الله في بيتها تأتي إلى بيت الله الحرام وقد حملت في أحشائها النور، الإمام علي عليه السلام وأخذت تناجي ربها، لم تذهب إلى اللاة ولا العزى، ولا مناة الثالثة الأخرى، بل توجهت وفق الحنيفية البيضاء كما علمها أبو طالب وأطلقت لسانها لباريها واثقة مطمئنة، إذ تمسكت بأستار الكعبة: (ربي أني مؤمنة بك، وبما جاء من عندك من رسل وكتب، وأني مصدقة بكلام جدي إبراهيم الخليل، وأنه بنى البيت العتيق، فبحق الذي بنى هذا البيت وبحق المولود الذي في بطني لما يسرت ولادتي..).

وإذا بجواب القدرة يأتي على الفور فينشق جدار الكعبة وتدخل فيها ثم يغلق الجدار... ولم ينفتح بمحاولات البعض لا الجدار ولا باب الكعبة، فعلم الناس أن ذلك أمر من عند الله فتركوها وشأنها فبقيت فاطمة بنت أسد في ضيافة الله لمدة (٣) أيام في بيته الحرام، وفي اليوم الرابع خرجت وبيدها وليدها وكان بانتظارها النبي صلى الله عليه وآله الذي تناوله وضمه إلى صدره[1].

---

(١) نور الأبصار للشبلخي ص٩٥ (من علماء السنة)، والفصول المهمة ص٣٠ الآلوسي في تفسيره.

وهـذه فضيلة أنفرد بها علي بن أبي طالبعليه السلام في العالم كله ألا ترمز هذه الحادثة إلى شيء؟

الله سبحانه وتعالى في القرآن لا يريد أن نفوت هـذه النظرة إلى الجمل في الصحراء دون أن نأخذ منها العبرة ونفكر ﴿أَفَلاَ يَنْظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾[1] أفلا ننظر إلى هذه الحادثة الكبيرة بعين الاعتبار والتأمل!

أفلا ينظرون إلى فاطمة بنت أسد أين ولدت؟

لماذا لم تلد هذه السيدة في بيتها كبقية النساء؟

لماذا شق الله لها جدار الكعبة بالمعجزة؟

ثم لماذا الكعبة بيت الله المُقدَّس؟

من يكون هذا المولود؟

وما هو شأنه بالنسبة إلى الله ورسوله والرسالة؟

أرجوك أيها القارئ الكريم فكر ولا تستمع إلى تفكير الآخرين، استمع إلى تفكيرك الحر وكن مستقلاً إلا عن الله ورسوله.

٢- قول النبيصلى الله عليه وآله «أنا مدينة العلم وعلي بابها».

وفي رواية (من أراد العلم فليأت الباب)[2].

---

(١) سورة الغاشية: ١٧.

(٢) المصادر كثيرة جداً ومتواترة عند الفريقين منها عن الصواعق ص١٢٢ نقلاً عن الطبراني والحاكم والترمذي.

وورد أيضاً عن رسول الله ﷺ :«أنا دار الحكمة وعلي بابها».

إن مسألة العلم مسألة جوهرية ومصيرية إذ أن العلم هو الخارطة التي توضح لنا مسيرتنا وكل أمور حياتنا الدنيا والآخرة وعلم رسول الله كثير لم يُشرح القرآن كله في حياته الرسالية القصيرة، ولم يبين إلا اليسير من العلوم الغزيرة فكل علوم الأرض والسماوات لديه وهو يقول أنا مدينة العلم كناية عن الحجم والتنوع الضخم فإن اردتموه فذا بابها (علي ابن أبي طالب).

فإن قصد أحد غيره وأخطأ فهل سيلوم أحد إلا نفسه ومن سيكون خاسراً غيره أكرر عليك أخي القارئ لا تمر على كلام رسول الله ﷺ مرور الكرام فهو لك ولمصلحتك تدبر وتأمل به حتى تأخذ منه الفائدة، وإذا أردت أن تعرف النزر القليل من علم علي فأنظر إلى كتاب نهج البلاغة شرح الشيخ محمد عبده (القاهرة) وأبحث عن خطبته الارتجالية التي حيرت العقول، أبحث عن خطبة له ارتجالية لا تحوي حرفاً واحداً به نقطة أي لا باء ولا ناء ولا جيم ولا غين ... الخ.

٣- قول رسول الله ﷺ «يا علي أنت مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي»[١]. كما ذكره في الصواعق عن الشيخان والطبراني.

إن هذه الأحاديث هي لنا نحن المسلمين كي نستفيد وأن أردنا أن نعرف منزلة علي من النبي يجب أن نعرف منزلة هارون من موسى فلننظر إلى القرآن كي نعرف، يقول موسى في القرآن ﴿وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ

---

(١) الاستيعاب، الحافظ الأندلسي، ج٣، ص١٠٩٨.

أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾[١] وقال الله تعالى: ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَاناً فَلاَ يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا﴾[٢].

وهنا نسأل سؤالاً، لو كان بعد رسول الله نبي فمن سيكون غير الإمام علي بنص كلام رسول الله ولكن لا نبوة بعد النبي.

٤- قول رسول الله ﷺ: «لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كرار غير فرار يفتح الله على يديه»[٣]. ثم أعطى الراية علي عليه السلام دون غيره.

والقصة في غزوة خيبر: أخرج الشيخان عن سهل بن سعد والطبراني عن ابن عباس ان رسول الله قال يوم خيبر: «لأعطين الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله» فلما أصبح الصباح غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها فقال: أين علي بن أبي طالب، فقيل: يشتكي عينه، قال: فأرسلوا إليه فأتى به فجعل الرسول ﷺ من ماء فمه المبارك في عينه ودعا له فبرئ حتى كأن لم يكن به وجع فأعطاه الراية وكان ما كان من بطولات سطرها للتاريخ في خيبر وفتحها كما أخبر الرسول ﷺ، وقلع باب خيبر بيده وكان الباب لا يحركه إلا ٤٠ رجلاً.

---

(١) سورة طه: ٢٩- ٣١.

(٢) سورة القصص: ٣٥.

(٣) الاحتجاج، ج١، ص٢٧٢.

٥- أنه أحب الناس إلى رسول الله كما ذكرت عائشة. أخرج الترمذي عن عائشة: «**كانت فاطمة أحب الناس إلى رسول الله وزوجها أحب الرجال إليه**» ورسول الله لا يحب ويكره إلا في الله.

٦- إن لكل شيء عنوان وإشارة تدل عليه فإذا أردت أن تعرف إيمان شخص فلذلك علامات فما هي علامة المؤمن الرابح فقد ذكر صاحب الصواعق ص١٢٥ أخرج الخطيب عن انس أنه قال رسول الله ﷺ: «**عنوان صحيفة المؤمن حب علي بن أبي طالب**»، وقال ﷺ: «**من آذى علياً فقد آذاني**»[1].

٧- علي سيد العرب: عن الصواعق ص١٢٢ روى البيهقي أنه ظهر علي من البعد فقال ﷺ: «هذا سيد العرب، فقالت عائشة: ألست سيد العرب؟ فقال ﷺ: أنا سيد العالمين وهو سيد العرب» ورواه الحاكم في صحيحه عن ابن عباس أنا سيد ولد آدم وعلي سيد العرب، وقال ﷺ : «من سب علي فقد سبني».

٨- أخرج أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجة في الصواعق ص١٢٢ قال رسول الله ﷺ: «**علي مني وأنا من علي ولا يؤدي عني إلا أنا أو علي**».

---

(١) بحار الأنوار، ج٣٩، ص ٣٣١. ذكر العكبري في الإنابة عن مصعب بن سعد عن أبيه سعد بن أبي وقاص، قال: كنت أنا ورجلان في المسجد فنلنا من علي عليه السلام فأقبل النبي ﷺ مغضباً فقال: ما لكم وعلي، من آذى علياً فقد آذاني، ومن آذى علياً فقد آذاني، ومن آذى علياً فقد آذاني.

٩- حديث المؤاخاة: عن الصواعق ص١٢٢ أخرج الترمذي آخا النبي ﷺ بين أصحابه فجاء علي تدمع عيناه فقال: يا رسول الله آخيت بين أصحابك ولم تؤاخ بيني وبين أحد، فقال ﷺ: **«أنت أخي في الدنيا والآخرة»**.

هل سألت أيها القارئ المسلم لِمَ لم يؤاخ رسول الله علياً مع أحد من المسلمين؟

هذا سؤال يحتاج إلى تدبر!!

١٠- ومن الأحاديث المهمة والمصيرية في فضل علي وكل كلام النبي ﷺ مهم، أنه ﷺ كما جاء في الصواعق ص١٢٣، أخرج أحمد والحاكم بسند صحيح عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال لعلي أنك تقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله.

١١- أخرج الطبراني عن الصواعق ص١٤٤ عن أم سلمة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«علي مع القرآن والقرآن مع علي لا يفترقان حتى يردا علي الحوض»**. والقرآن كتاب لا يأتيه الباطل وعلي عليه السلام كذلك.

وأخرج الترمذي والحاكم عن عمران بن حصين أن رسول الله ﷺ قال: **ما يريدون من علي ما تريدون من علي ما تريدون من علي إن علياً مني وأنا منه وهو ولي كل مؤمن بعدي.**

ألا نتنبه إلى كلام رسول الله بشيء من الاحترام والفهم والاستيعاب ونطبقه فنستفيد كما أراد لك ﷺ نبي الرحمة أي رحمة بك.

١٢- عن الصواعق ص١٢٧ أخرج ابن سعد عن علي عليه السلام قال: **والله ما نزلت آية إلاّ وقد علمت فيم نزلت وأين نزلت وعلى من نزلت، إن ربي وهب لي قلباً عقولاً ولساناً ناطقاً.** وأخرج ابن سعد وغيره عن أبي الطفيل قال، قال علي: سلوني عن كتاب الله فإنه ليس من آية إلا وقد عرفت بليل نزلت أم بنهار أم في سهل أم جبل.

١٣- ويذكر ابن حجر في صواعقه هذه الكرامة ص١٢٨، فيقول: ومن كراماته الباهرة أن الشمس ردت عليه لما كان رأس رسول الله صلى الله عليه وآله في حجره والوحي ينزل عليه وعلي لم يصل العصر، فما سرى عنه صلى الله عليه وآله إلا وقد غربت الشمس فقال النبي صلى الله عليه وآله: **اللهم أنه كان في طاعتك وطاعة رسولك فأردد عليه الشمس.** فطلعت بعدما غربت. ماذا يمكنه أن يعلق الإنسان على هذه الحادثة، ألا نحتاج في ذلك أن نقف متأملين في هذه الفضيلة التي لو كانت لواحدٍ آخر غير علي عليه السلام ممن يُحسنون الظن بهم فما عساهم أن يفعلوا؟.

نعتقد أنهم سوف يُكفرون كل من يحاول المساس بصاحب هذه الفضيلة لو كان غير علي عليه السلام.

١٤- عن الصواعق ص١٢٧: أخرج الطبراني وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: ما أنزل الله يا أيها الذين آمنوا إلا وعلي أميرها وشريفها، ولقد عاتب الله أصحاب محمد في غير مكان، وما ذكر علياً إلا بخير وأخرج ابن عساكر عنه قال ما نزل في أحد من كتاب الله تعالى ما نزل في علي وأخرج عنه أيضاً قال: «نزل في علي ثلاثمائة آية».

ومن أقواله عليه السلام التي تنم عن سمو نفسه العظيمة: «**والله لو أعطيت الأقاليم السبع بما تحت أفلاكها على أن أعصي الله في نملة أسلبها جلب شعيرة ما فعلت**».

١٥- أخرج الدار قطني أن علياً قال للستة الذين جعل عمر الأمر شورى بينهم كلاماً طويلاً من جملته: أنشدكم الله هل فيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله يا علي أنت قسيم الجنة والنار يوم القيامة غيري[1]، قالوا: اللهم لا. وروي عن ابن السحاك أن أبا بكر قال له: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: **لا يجوز أحد الصراط إلا من كتب له علي الجواز.**

١٦- بعض ما نزل به من القرآن، أخرج الواقدي عن ابن عباس قال كان مع علي أربعة دراهم لا يملك غيرها فتصدق بدرهم ليلاً ونهاراً وبدرهم سراً وبدرهم علانية فنزل فيه بسم الله الرحمن الرحيم ﴿**الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرّاً وَعَلاَنِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾[2][3].

١٧- أما موقفه في معركة الأحزاب (الخندق) فهو موقف مصيري وجوهري في تقرير مصير الرسالة المحمدية، إن الله يستطيع أن ينصر النبي بالغيب وبكلمة واحدة كن فيكون لكن الله أبى أن يجري الأمور إلا بأسبابها

---

(١) الصواعق المحرقة، أبن حجر، ص١٢٦.

(٢) نفس المصدر، ص١٣١.

(٣) سورة البقرة: ٢٧٤.

وليكشف معادن الناس وليميز الخبيث من الطيب ويستحق كل إنسان مكانة بجدارة هكذا جرت سنة الله في خلقه.

في معركة الأحزاب كان الموقف بالنسبة للمسلمين شديداً للغاية، وقد عبر القرآن عن هذا الموقف ا لشديد إذ يقول عز من قائل جلا وعلا، بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتْ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتْ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَ﴾[1].

ويتضح من هذه الآيات موقفه المسلمين الضعيف إذ تكالبت عليهم قريش وحلفاؤهم من الخارج والمنافقون من الداخل وتوقع الكثير نهاية النبي صلى الله عليه وآله ونهاية دعوته. مما دعا عمرو بن عبد ود العامري إلى التبجح حين عبر الخندق بقفزه بفرسه وأخذ يستهزأ بالمسلمين وهو بطل مجرب يعادل (١٠٠٠) فارس وأخذ يدعوهم إلى المبارزة فلم يجبه أحد سوى علي عليه السلام إذ ترك مكانه في المعركة وأقبل إلى النبي صلى الله عليه وآله وقال: أنا له يا رسول الله، وكان النبي صلى الله عليه وآله يعرض عنه منتظراً أحداً من المسلمين غير علي عليه السلام ليجيب نداء المبارزة ولكن أحداً لم يُجب عمرو ابن عبد ود، ويعيد عمرو النداء ويعيد علي عليه السلام استعداده للمبارزة ويعيد عمرو مستهزءاً.

أين جنتكم التي تزعمون أن من قتل منكم دخلها، أفلا يحب أحد منكم أن يذهب إليها، فجعل ينشد كما يروي الحلبي في سيرته، والمفيد في إرشاده نقلاً عن سيرة الأئمة الاثنى عشر لمؤلفه هاشم الحسني:

---

(١) سورة الأحزاب: ١٠.

ولقد بححت من النداء بجمعكم هل من مبارز
وكذلك أني لم أزل متسرعاً نحو الهزاهز
أن الشجاعة في الفتى والجود من خير الغرائز

فقال الرسول ﷺ مستنهضاً المسلمين: «من يبرز له وأنا الظامن على الله له الجنة». فلم يجبه أحد.

عند ذلك أذن رسول الله ﷺ لعلي وأعطاه سيفه وألبسه درعه وعمامته ورفع يديه نحو السماء وقال ﷺ: «اللهم أنك أخذت عبيدة يوم بدر وحمزة يوم أحد وهذا علي أخي وابن عمي فلا تدعني فرداً، وأنت خير الوارثين» فبرز إليه علي وهو يقول:

لا تعجلن فقد أتاك مجيب صوتك غير عاجز
ذو نية وبصيرة والصدق منجي كل فائز
أني لأرجو أن أقيم عليك نائحة الجنائز
من ضربة نجلاء يبقى صيتها عند الهزاهز[1]

ودارت بينهم المبارزة وما أنجلت الغبرة إلا والمسلمون يكبرون وقد عاد علي منتصراً بقتل عدو الله، وكانت هذه الحادثة الفصل في انهيار معنويات المشركين وانتصار المسلمين لذا قال رسول الله ﷺ ، كما جاء في مستدرك الصحيحين: «**لمبارزة علي لعمرو يوم الخندق أفضل من أعمال أمتي إلى يوم القيامة**».

---

(١) البداية والنهاية، ج٤، ص١٠٦.

وبعد ذلك نزلت الآية: ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾[1] بعلي.

١٨- يوم الغدير: قال ابن حجر في صواعقه ص١٢٢، قال ﷺ يوم غدير خم وهو موضع على ثلاثة أميال بالجحفة بين الحرمين، قال ﷺ: «**من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه**» وقد رواه عن النبي ﷺ ثلاثون صحابياً وأن كثيراً من طرقه صحيحة.

أن حادثة غدير خم هي من الأحداث المصيرية في تاريخ الأمة الإسلامية لذا لزم التوضيح أكثر حول هذه الحادثة والتفصيل لنعرف أهميتها وهدفها الحقيقي، ففي الحجة الأخيرة للنبي ﷺ كان بأبي هو وأمي يشير أكثر من مرة إنما هي الأخيرة وهي الوداع، وسمعوه مرة يقول لعلي عليه السلام **لا ألقاكم بعد عامي هذا، ومرة يقول: أوشك أن أدعي فأجيب.**

فبعد أن حج وطفق راجعاً للمدينة مع الحشود الكبيرة للمدينة مع الحشود الكبيرة التي لم يسبق لها مثيل وقبل أن يتفرق جمع المسلمين استوقفهم ونزل قرب الجحفة بغدير خم وجاء لأبن كثير عن زيد بن أرقم أن النبي ﷺ لما رجع من حجة الوداع ونزل بغدير خم أمر بدوحات فقمن ثم وقف بين تلك الجموع وقال: «كأني قد دعيت فأجبت ثم قال ﷺ: أني قد تركت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فأنظروا كيف تخلفوني فيهما فأنهما لن يتفرقا حتى يردا علي الحوض.

ثم قال: «أن الله مولاي وأنا ولي كل مؤمن » وأخذ بيد علي عليه السلام

---

(١) سورة الأحزاب: ٢٥.

فقال: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»[١].

وقد رواه ابن كثير أيضاً عن عدي بن ثابت عن البراء بن عازب، وجاء في رواية البراء ان عمر بن الخطاب لقى علياً بعد أن فرغ رسول الله ﷺ من خطابه وقال له: هنيئاً لك لقد أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة[٢].

ولقد جاء هذا الأمر الإلهي بعد نزول هذه الآية ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنْ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾[٣].

ثم يروي ابن كثير رواية ثانية عن أبي هريرة: نزلت على النبي ﷺ هذه الآية بعد هذه المناسبة وهي: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنْ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾.

يقول ابن كثير أن الطبري قد ألف في غدير خم مجلدين جمع فيهما أسانيده وألفاظه وقال عنه متواتر ولا سبيل لإنكاره، ورواه الإمام أحمد والرازي في تفسيره والبغدادي في تاريخه والطبراني في ذخائره وأكدوا أن

---

(١) البداية والنهاية، ج٥، ص٢٠٩.

(٢) نفس المصدر.

(٣) سورة المائدة: ٦٧.

الآية ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ نزلت بهذه المناسبة.

وجاء أيضاً للمفيد في إرشاده: إن النبيﷺ أفرد خيمة لعلي وأمر المسلمين أن يدخلوا عليه فوجاً فوجاً ويسلموا عليه بأمره المؤمنين ففعل ذلك كلهم حتى من كان معه من أزواجه ونساء المسلمين، وإذا أردت أخي المؤمن أن تعرف عن الغدير أكثر فعليك بمراجعة كتاب الغدير للعلامة الأميني.

١٩- هو حبل الله: فقد جاء في كتاب (علي في القرآن) للسيد صادق الشيرازي ج١ ص١٣٢، روى العلامة البحراني عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن حنبل أمام الحنابلة عن ابن المبارك بن مسرور (باسناده المذكور) عن سعيد بن جبير عن عبد الله بن عباس قال: كنا عند رسول اللهﷺ إذا جاء أعرابي فقال: يا رسول الله سمعتك تقول: اعتصموا بحبل الله، فما حبل الله الذي نعتصم به؟

فضرب النبيﷺ يده في يد علي وقال: «تمسكوا بهذا هو الحبل المتين»[1].

٢٠- عم يتساءلون: روى الحافظ الحسكاني (الحنفي) قال: أخبرنا عقيل بن الحسين باسناده المذكور عن عبد خير عن عليعليه السلام قال: أقبل

---

(١) غاية المرام عن علي في القرآن للسيد صادق الشيرازي، ج١، ص١٣٢.

صخر بن حرب حتى جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: الأمر بعدك لمن؟

قال صلى الله عليه وآله: لمن هو مني بمنزلة هارون من موسى.

فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءلُونَ﴾(١). يعني: يسألك أهل مكة عن خلافة علي ﴿عَنْ النَّبَإِ الْعَظِيمِ * الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾(٢) فمنهم المصدق ومنهم المكذب بولايته.

﴿كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ﴾(٣) وهو رد عليهم سيعرفون خلافته أنها حق إذ يسألون عنها في قبورهم، فلا يبقى ميت في شرق ولا غرب ولا بر ولا بحر إلا منكر ونكير يسألانه، يقولان من ربك؟ وما دينك؟ وما من نبيك؟ ومن إمامك؟(٤).

٢١- سورة العاديات: أجتمع جماعة من العرب على وادي اليابس ليبيتوا للنبي صلى الله عليه وآله بالمدينة يريدون الهجوم عليه والقضاء عليه صلى الله عليه وآله فقال النبي صلى الله عليه وآله لأصحابه من لهؤلاء فقام جماعة من أهل الصفة وقالوا نحن، فأمر أبا بكر بأخذ اللواء والمضي لبني سليم فهزموهم وقتل جمعاً من المسلمين ورجع المسلمون مهزومون مع أبي بكر، ثم أعيدت الكرة مع عمر ومع عمر بن العاص وكانت نفس النتيجة، وبقي النبي صلى الله عليه وآله أياماً، ثم بعث

---

(١) سورة النبأ: ١.

(٢) سورة النبأ: ٢-٣.

(٣) سورة النبأ: ٤- ٥.

(٤) شواهد التنزيل ج٢ ص٣١٨، عن علي في القرآن للشيرازي ج٢ ص٥٦١.

علياً إليهم، فسار إليهم علياً من طريق غير المألوف، وهجم عليهم مع طلوع الفجر هجوماً خاطفاً كالبرق فداهمهم وأرعبهم وهزمهم وأخذهم زرافات أسارى، فنزلت هذه الآية ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحاً * فَالْمُورِيَاتِ قَدْحاً * فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحاً * فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعاً * فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً﴾[١] وهي تصف قدح شرار أرجل الخيل إذ هجمت[٢].

٢٢- الوحيد الذي هجم عليه المسلمون يطلبون منه أن يكون عليهم ولياً بعد مقتل عثمان بقبل بقيام الحجة عليه: ثم خطب يقول في خطبته الشقشقية من نهج البلاغة شرح محمد عبده، والله لقد تقمصها ابن أبي قحافة وهو يعلم أن محلي منها محل القطب من الرحى ينحدر عني السيل ولا يرقى إلي الطير ... إلى آخر الخطبة[٣].

٢٣- ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾[٤] يروي السيوطي عن رسول الله ﷺ أنه قال ﷺ أنا منذر هذه الأمة وعلي هو الهاد.

آه يا أمير المؤمنين كم أنت عظيم، وكم أنت مظلوم، فأنت فتنة هذه الأمة، ومن أراد الاستزادة في معرفة الآيات النازلة في فضل علي ابن أبي طالب وعن طريق غير الشيعة فعليه بمراجعة كتاب علي في القرآن لسماحة

---

(١) سورة العاديات:١- ٥.

(٢) وقد نقل ذلك السيد هاشم البحراني في تفسيره البرهان في ج٥، ص٧٣٢.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج١، ص١٥١.

(٤) سورة الرعد: ٧.

المرجع السيد صادق الشيرازي ويقع في مجلدين؟

٢٤- قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾[1] أخرج الحافظ جمال الدين النرندي عن ابن عباس رضي الله عنه أن هذه الآية لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي: (هو أنت وشيعتك تأتي أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين ويأتي عدوك غضابا مقمحين)[2].

وفي رواية أخرى في الصواعق أيضاً قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا علي أنت وشيعتك على منابر من نور يوم القيامة».

٢٥- في الصواعق ص١٥٦ أخرج الطبراني قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أن الله عز وجل جعل ذرية كل بني في صلبه وإن الله تعالى جعل ذريتي في صلب علي بن أبي طالب»[3].

وفي رواية أخرى قال صلى الله عليه وآله: «تبسم رسول الله حين تزويج علي من فاطمة، وقال لعلي: إن الله أمرني أن أزوجك فاطمة».

تأمل أخي القارئ إن الله عز وجل هو الذي يأمر رسول الله صلى الله عليه وآله من تزويج علي لفاطمة وتكون ذريتهما هي ذرية رسول الله.

٢٦- قال النبي صلى الله عليه وآله من آذى علياً فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى

---

(١) سورة البينة: ٧.

(٢) الصواعق المحرقة، ص١٦١.

(٣) الصواعق المحرقة، ص١٥٦.

الله[1]، وجاء في ص١٧٣ أيضاً عن رسول الله ﷺ أنه خرج مغضباً وقال ﷺ ما بال أقوام ينتقصون علياً ... إن علياً مني وأنا منه خلق من طينتي وأنا خلقت من طينة إبراهيم وأنا أفضل من إبراهيم، ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم[2].

٢٧- تفسير الآية ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾[3] أخرج الحافظ السلفي عن محمد بن الحنفية في تفسير هذه الآية، لا يبقى مؤمن ولا مؤمنة إلا وفي قلبه ود لعلي وأهل بيته، وقال ﷺ عن البيهقي وأبو الشيخ الديلمي أنه قال ﷺ: لا يؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من نفسه ... وتكون أهلي أحب إليه من أهله[4].

وهذا شيء يسير مما أفلت من رقابة قانون مطبوعات الأمويين الذين كانوا يصدرون حكم الاعدام سلفاً لكل من يروي فضيلة واحد في علي عليه السلام، أو في آل النبي ﷺ، ومن كبرى الجرائم أن يسمي المسلم ولده علياً لتكون ذلك عليه وبالاً وخطراً داهم يمكن أن يأتي عليه في كل لحظة.

بعد كل هذه الفضائل والتي هي جزء يسير جداً جداً، ومن أراد الزيادة فليراجع كتاب (فضائل الخمسة في الصحاح الستة) والكتب التي

---

(١) الصواعق المحرقة، ص١٧٢.

(٢) بحار الأنوار، ج٣٧، ص٢٣٥.

(٣) سورة مريم: ٩٦.

(٤) الصواعق، ص١٧٢.

وردت في سيرة علي عليه السلام مثل كتاب (علي من المهد إلى اللحد) للسيد محمد كاظم القزويني وغيره مما لا يحصى.

بعد كل هذه الفضائل نسمع أن الأمويين أقاموا سبعين ألف منبر في أرجاء الدولة الإسلامية لسب وشتم علي ابن أبي طالب عليه السلام وهي منابر المساجد وفي خطبة الجمعة ولمدة ثمانين عاماً حتى جاء أحد خلفاء الدولة الأمويين وأوقف هذا السب، تخيل عدد المسلمين الذي كانوا يسمعون سب علي عليه السلام من خلال سبعين ألف منبر وثمانين عاماً ويعتبرون ذلك تقرباً لله، والتبرير الذي كان ينشر ويقال لجموع المسلمين كي يعتبروا سبه قربة لله وأن علياً يستحق هذا الشتم، يكفي أن نعرف أنهم قالوا عنه أن كان يشرب الخمر ولم يكن يصلي حتى أن أحداً من الشام عندما سمع أنه قتل في المسجد قال مستغرباً: وماذا كان يفعل علي في المسجد؟!!

إذن فكل فضيلة له كانت تُطمس وفي المقابل تلصق به كل شنيعة ويصرف في ذلك الملايين وتوضع لها الأحاديث والروايات، وكل حديث بثمنه.

فإذا كان حال علي هكذا فما بال أبيه أبي طالب، فلم يكن بأحسن حالاً منه عند بني أمية فلابد أن يكون كافراً وخالداً في نار جهنم، بينما يكون من حارب النبي وآذاه وجاهده بكل جهده من أهل التقوى والورع كأبي سفيان وغيره، والذي تستطيع أن تطلع عليه في باب فضله في كتب الحديث وكل ذلك يجب أن يكون بالأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وكل شيء بثمنه، ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «تكثر بعدي الكذابة علي» هل

أدركت معنى (تكثر) فميّز أيها القارئ.

فهل من وقفة تأمل أيها القارئ تكشف من خلالها الظلمة التي تحجب عنك الحقيقة، فما قولك إذا كان ما قيل في أبي طالب أكاذيب – وهو كذلك- وأنت تقول بها أمام رسول الله صلى الله عليه وآله في الدنيا والآخرة ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1].

إذن فتكفير أبي طالب جاء ليضاف إلى ملف الإمام علي عليه السلام في حكومة الأمويين أعداء الإمام علي ومبغضيه، في دائرة أمن الدولة الأموية التي تنسج بكل ما أوتيت من قوة ودهاء لتبرر حكمها للدولة الإسلامية وأنهم هم خلفاء رسول الله صلى الله عليه وآله بالحق، تخيل كيف يستطيع شخص وهو قريب من عهد النبي صلى الله عليه وآله أن يثبت لك أن يزيد بن معاوية خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله في حكم الدولة التي أقامها رسول الله صلى الله عليه وآله على دماء المؤمنين وعويل أراملهم ودموع أيتامهم، ويكون سيد شباب أهل الجنة خارجي يستحق القتل هو وأبناءه وأهل بيته (أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله).

وبما أنا ذكرنا الحسين عليه السلام فلابد لنا من وقفة عنده لنعرف من جهة ما فعلت بنو أمية ولنستذكر الظلامة التي وقعت على ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله من جهة أخرى.

آه لمصابك يا ريحانة الرسول، آه لمصاب رسول الله فيك، آه للحزن العميق الذي تركوه في نفسك يا أبا عبد الله الحسين، فهل اجتمع من

---

(١) سورة التوبة: ٦١.

الأحزان في العالم كله من أول يوم من الخليقة حتى فنائها كما اجتمع على قلبك يا أبا عبد الله.

لن نستطيع ولن يستطيع كل شعراء العالم أن يدركوا أو يصفوا عُشر ما تحمله قلب الحسين عليه السلام من مصائب وآلام، لكن لنحاول أن ندرك من خلال الروايات التي وردتنا جزءاً من هذه المصائب والنوائب ولنعرف من خلال الروايات التي وردت عن رسول الله مقام الحسين عند الله ورسوله لنعرف بعد ذلك حجم الجرم العظيم الذي هز العالم حتى يومنا هذا ونعرف كيف استبيح الدم الطاهر وبأيدي من يسمونهم مسلمون لندرك كيف تزور الحقائق وكيف تهتك حقيقة الدين فيأتي في يومنا هذا من يسمي يزيد الأمير المظلوم،ويأتي من يبجل الدولة الأموية التي سقيت شجرتها من دماء آل بيت النبي صلى الله عليه وآله وهي دماء رسول الله صلى الله عليه وآله، فقد أخرج البخاري والطبراني والحاكم أنه قال صلى الله عليه وآله: **«الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة»**، وقال صلى الله عليه وآله: **«حسين مني وأنا منه»** وقال صلى الله عليه وآله: **«من أحب الحسن والحسين فقد أحبني، ومن أبغضهما فقد أبغضني»**[1].

كان رسول الله صلى الله عليه وآله عند أم سلمة وقال لها صلى الله عليه وآله أحفظي علينا الباب إذا كان عنده ملك استأذن ربه أنه يزور النبي صلى الله عليه وآله فأذن له، فبينا هي على الباب إذ دخل الحسين فوثب على رسول الله فجعل يلثمه ويقبله فقال له الملك أتحبه؟ قال صلى الله عليه وآله : نعم، قال: إن أمتك تقتله ... إلى آخر

---

(١) الصواعق المحرقة، ص١٩١.

الحديث[١].

وأخرج الترمذي أن أم سلمة رأت النبيﷺ باكياً وبرأسه ولحيته التراب فسألته فقال: قتل الحسين.

وأن رسول اللهﷺ وقد أخذ من تراب الأرض التي يقتل بها الحسين من جبريل فأعطاها النبي لأم سلمة من هذا التراب ووضعته في قارورة حتى إذا قتل الحسين صار دماً، وقد أخرج ابن سعد عن الشعبي قال: (مر علي رضي الله عنه بكربلاء عند مسيره إلى صفين وحاذى نينوى قرية على الفرات فوقف وسأل عن اسم هذه الأرض فقيل كربلاء فبكى حتى بل الأرض من دموعه، ثم قال: دخل على رسول اللهﷺ وهو يبكي فقلت: ما يبكيك؟ قال: كان عندي جبرئيل آنفاً وأخبرني أن ولدي الحسين يقتل بشاطئ الفرات بموضع يقال له كربلاء ثم قبض جبرئيل قبضة من تراب شمني إياه فلم أملك عيني أن فاضتا، وفي رواية أخرى قال عليعليه السلام: **«ههنا مناخ ركابهم وههنا موضع رحالهم، وههنا مهراق دمائهم، فتية من آل محمد يقتلون بهذه العرصة تبكي عليهم السماء والأرض»**[٢].

إن رسول اله والله لا يرضى أن يؤذى الحسين بكلمة واحدة تؤذيه أو بموقف يغضبه، وإذا بأناس يصلون ويقرءون القرآن ويشهدون الشهادتين يقتلون الحسين وابناءه وأطفاله ويسبون نساءه إلى الشام بصورة تشتمل على

---

(١) الصواعق المحرقة، ص١٩٢.

(٢) الصواعق المحرقة، ص١٩٣.

أشد أنواع الإهانة والعذاب وأمامهم رأس الحسين مقطوعاً، قد غرسوا به الرمح ورفعوه أمام القافلة مفتخرين بهذا الصنيع.

رأس الحسين حبيب النبيﷺ يقطع ويرفع على رمح!! كيف!!

وسارت الأمور بهذه البساطة وكأن شيئاً لم يحدث، لقد قالهاﷺ: **«كيف بكم إذا صار المعروف منكراً والمنكر معروفاً»**.

حذار أيها المسلمون لا تنخدعوا بكلام المزيفين وإلا أصبحنا كأولئك الذين رضوا بقتل ريحانة رسول الله وكأن شيئاً لم يحدث وغايتهم الدولة والملك والسلطان.

أخي القارئ، هل رأيت مجرماً في قفص الاتهام يقول أنا مجرم؟ المجرم دائماً يدعي البراءة ويوكل المحامين لذلك، بكل ما أوتي من قوة والمحامي ينسج ما يستطيع من أكاذيب، ولكن إن كان القاضي واعياً لا ينطوي عليه الخداع وإن كان مغفلاً سقط وصدق الكاذبين، والجمهور إن كان واعياً رفض كلام المدافع وكلام القاضي إن كان خطأً، ولكن إن كان ساذجاً ومغفلاً انطلت عليه كل الأكاذيب وحماقة القاضي إن صدقه، فهل نكون كذلك أم نكون أحراراً فطنين، والمؤمن كيّس فطن، (والمؤمن من يرى بنور الله) ونحن نكرر في صلواتنا الخمس **﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾**[1].

والآن بعد كل ما قرأنا عن حياة أبي طالب هل بقي أدنى شك في

---

(١) سورة الفاتحة: ٦.

إيمان أبو طالب؟

قد يقول قائل أن الأمر ذهب يميناً وآخر يقول قد ذهب شمالاً وشأنه شأن كل أمر يختلف فيه الناس طبقاً لمشاربهم وإذواقهم.

أنواع الاختلاف في الثقافة والدين والإيمان والمنطق والعقل والمصالح .. الخ.

وحتى الإيمان بالله تعالى وبالنبي والرسالة نجد الاختلاف يبدأ ولا ينتهي وتكثر الأقوال والآراء اختلافاً يكون منبعه الجهل والعلم أحياناً والخبث والصفاء أحياناً، والإخلاص والمصالح أحياناً والقرآن يستعرض بعضاً من هذه المشاهد. والتي تكون البديهيات فيها واضحة ورغم ذلك يكون الاختلاف، فمثلاً مشهد نبي الله إبراهيم، حينما يدعو للتوحيد فيقول إن الله يحيي ويميت فيقول نمرود أنا أحيي وأميت فيقول إبراهيم إن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر ولكنه لم يؤمن وأصر على كفره وعناده، وفي مشهد آخر عندما يكسر إبراهيم أصنامهم ويدعوهم لسؤال كبير الأصنام فيصرون على الكفر وترتفع الدعوة إلى قتله وإلقائه في النار.

وفي مشهد آخر يقول آخر في سورة (يس) كيف يحيي العظام وهي رميم؟ فيقول سبحانه ﴿**قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ**﴾[1].

---

(١) سورة يس: ٧٩.

وفي آية أخرى يسأل الباري سؤالاً استفهامياً عظيماً ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[1] ولكنه يظل الكافر كما هو وقد يزيد كفره وتأخذه العزة بالأثم كما يشير القرآن ﴿أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ﴾[2].

لكن الله يتوعدهم ويتركهم في الدنيا ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْماً﴾[3].

إذن الحقيقة تبقى كما هي ناصعة جلية لمن أرادها ولمن لا يريدها، فهو الخاسر الأكبر ﴿فَمَنْ يُرِدْ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ للإِسْلاَمِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾[4].

وهكذا كان رسول الله يعاني مع قريش يعرض لهم الهداية فيرمونه بالحجارة والجنون فيدعو لهم (اللهم أهد قومي فإنهم لا يعلمون).

ويحاول معهم حتى الرمق الأخير فيتركونه ودينه، ويستحبون العمى على الهدى ويقتلون في سبيل الضلالة ويذهبون طواعيه إلى الهلاك في بدر وأحد وغيرها، فإذن في كل أمر لابد لصاحب الحقيقة أن يبينها وبعد ذلك إن الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره.

---

(١) سورة إبراهيم: ١٠.

(٢) سورة البقرة: ٢٠٦.

(٣) سورة آل عمران: ١٧٨.

(٤) سورة الأنعام: ١٢٥.

في قضية أبي طالب رضوان الله عليه استعرضنا بعض المشاهد والفصول التي لا تترك مجالاً لأي منصف أن يرى أن أبا طالب لم يكن مسلماً، قد لا تقبل فئة هذا ا لكلام وهؤلاء نقول لهم: فلندع الروايات التي تقول بكفر أبي طالب والعياذ بالله جانباً لفترة ولنستعرض حياة أبي طالب ودوره وأفعاله وتصرفاته تجاه النبي والرسالة من احتضانه النبي قبل البعثة وتربيته له ومساندته واستماتته في الدفاع عنه بعد البعثة وتضحيته بكل ما يملك وبأبنائه في سبيل الدعوة، وبذل كل حياته في سبيل الرسالة حتى الرمق الأخير عندما مات عليلاً جائعاً تحت حصار قريش في شعب أبي طالب، وحزن الرسول[1] عليه وتسمية ذلك العام بعام الحزن.

ولعل من يستعرض أشعارهﷺ يجدها زاخرة بتمجيد الرسالة وصاحبها الذي كان يقدس تلك الشخصية فهل من الممكن أن يكون هذا الطود العظيم، ممن لم يؤمنوا بتلك الرسالة وذلك الدين الذي طالما ذب عنه بالغالي والنفيس.

أترك تلك الروايات وأجب بصراحة هل يمكن أن نشك في إيمان هذا البطل الفذ؟

قد يقول قائل نعم أنا أشك.

---

(١) ترى هل أن النبيﷺ يحزن على كافر لمجرد قرابة أو موقف صدر منه تجاه الرسولﷺ وهل يُعقل أن يُسمي النبيﷺ العام الذي مات فيه أبو طالب بعام الحزن؛ حزناً على عمه لمجرد العلاقة النسبية.

لا بأس إذا كان هذا المتكلم صادقاً في اعتقاده، فلنمضي معه في جولة أخرى ولنستعرض آراء الناس بكافة مستوياتهم في أبي طالب عليه السلام.

القضية أن هناك من يتهم أبا طالب بالكفر.

وهنا من يتهم أبا طالب بأكبر جريمة في الوجود وهي الكفر ولا شيء أعظم من الكفر ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[1].

دوافع أبي طالب:

وفي أي جريمة يبحث المحققون عن الدافع في الجرمية فإذا توفر الدافع كان احتمال وقوع الجريمة من هذا الشخص أكبر.

وهنا ما هو الدافع لدى أبي طالب لأن يكفر بالله ويؤمن بالأصنام؟

أني أترك لك أيها القارئ المسلم أن تتوقف عنه القراءة فترة وتفكر معي ما هو الدافع لدى عم النبي وحبيب النبي بأن يكفر بالله ولا يقبل دعوة الرسول.

أرجوك توقف عن القراءة، وفكر بالأمر ملياً.

بالله عليك، أقسم عليك برب العزة، هل هناك دافع واحد، لكفره وهو الذي كان من نور النبوة قاب قوسين أو أدنى وكان ينظر إلى نور رسول الله أكثر من ٤٠ عاماً ورأى المعجزات تلو المعجزات.

ما لكم كيف تحكمون؟

إذا أردنا أن نعرف دوافع الكفر اتجه إلى الجهة الأخرى المواجهة

---

(١) سورة لقمان: ١٣.

لرسول الله جبهة الكفار تجد الدوافع الكثيرة إلى هذه الجريمة العظمى، تجد المصلحة المادية المترتبة على عبادة الأصنام، وكما قال أبو سفيان آلهة قريش عبادة وتجارة فإذا ذهبت الأصنام ذهبت التجارة، أو هي السلطة فإذا ذهبت الأصنام ذهبت السلطة والمكانة السياسية والاجتماعية.

أو الحرية في الفسق والفجور ودين يحرم الشهوات دين مرفوض والأصنام خير منه وأصنام تبيح الربا خير من دين يُحرمه، وإلى آخر هذه الدوافع التي دعت كفار قريش للبقاء على كفرهم، ورفض دين الإله الواحد والقيود.

وبالله عليك هل يفكر أبو طالب في واحد منها؟ وهو الذي كان يبذل ماله وعياله وكل غال ونفيس في سبيل النبي الأكرم وكان يقترض من أخيه ليسقي الحجيج دون مقابل من سلطة أو تجارة.

قد يقول قائل إن أبا طالب كان يخشى أن تقول قريش أنه ترك دين آبائه كما يروون كذباً ألم يخف أن تقول قريش أنه أعان ضد دين آبائه؟.

بالله عليك هل كان أبو طالب يهتم لسفلة قريش من الكفار أو يهتم لرأيهم، أولئك الذين حاربوا رسول الله وحاربوه وطردوهم إلى شعاب الجبال يموتون جوعاً لثلاث أعوام.

أيهتم أبو طالب لهذه الثلة النجسة من كفار قريش وعتاتها وجهالها، وهو الذي خالط الرسول زهاء أربعين عاماً ثم كيف يكون كذلك وهو الرجل العاقل، الحكيم الرشيد والذي يشهد الكل له بسمو شخصيته ورجاحة عقله ومعرفته بالأديان وبدين جده إبراهيم عليه السلام من خلال تراثه

العائلي الرفيع المتصل حتى إبراهيم الخليل عليه السلام.

ثم إذا كان يهمه هذا الكفر اللعين دين قريش وأربابه فلم يقف ضده ويعين من يحاربه بما له وبأولاده الإمام علي عليه السلام وجعفر الطيار وعقيل.

كيف بالله عليكم كيف؟

أنها تركيبة من المتناقضات لا يمكن أن تجتمع ولا يقبلها ذو عقل سليم، أبداً؟

نعم، يمكن أن تحدث ويقبلها بطرق غير طبيعية، وبتأويلات معينة كأن يقول أن أبا طالب كافر لكنه بالمعجزة جاهد مع الرسول ضد الكفار وحمى النبي ونصر الإسلام. وهذا من سخيف القول

فهذا أقرب للمنطق من الفئة السابقة، وإن كان ذلك مثيراً للاستغراب والسخرية؟

نعم، حدث وقالها أحدهم في يوم ٢٠٠٨/٣/١٧ بعد صلاة الفجر في إذاعة دولة الكويت حديث يكتبه الشيخ محمود أحمد محمد.

يقول إن أبا طالب كان حصناً للرسول وعوناً وقد دافع وحمى رسول الله، ورغم ذلك لم يسلم وكان كافراً؟ كيف ذلك يا محمود يقول أن ذلك حديث.

وقال: وهذا من الأعجاز الإلهي!!

أن يفيض الله بالإعجاز الإلهي علي شخصاً من الكفار ليدافع عن رسول الله ويحميه، وهذا دليل على الاعجاز الإلهي» انتهى قول الشيخ محمود.

نعـم، هـذا يعني أن ذلك الاعتقاد بكفر أبي طالب رغم تاريخه الحافل المشرق لا يمكن أن يتم بالصورة الطبيعية.

ونحـن نـتفق معه لا يمكـن أن يـتم فإمـا أن تاريخـه الحافـل المشرق بحمايـة الرسـول والـدفاع عن دينه كذب وهذا محال لأن كل الطوائف تقر له بنصرة النبي وبجهاده.

أو أن كفــره كــذب وظلــم وزور، كــذب وظلــم للنبــي وللــدين وللمسلمين وللعقل والمنطق، وأما قوله بأن ذلك حدث بالاعجاز الإلهي فالله نصـر رسـوله بالاعجـاز الإلهـي يـوم أيده بالملائكة تؤيده بمعاركه ﴿وَأَيَّدَهُ بِجُـنُودٍ لَـمْ تَـرَوْهَا﴾[1]. ولـيس بالكفـار وإلا لكـان الاعجاز طال أبا جهل وطائفـته لينصـروا رسـول الله. وقـد فاتـه إن رسـول الله ﷺ دعا ربه (اللهم لا تجعل لكافر علي منة)[2].

ماذا سيفعل المستمع إن كان منصفاً؟

قـد يقـول القـارئ لابـد مـن الاسـتماع للروايات التي جاءت ضد أبي طالب، لا بأس!!

فلنسـتعرض هـذه الـروايات حتـى لا يتـرك مجـالاً للشـك، وأنـت أيها القـارئ لا تضـيع وقتك في هذه المحاكمة فإن كنت تنوي أن تكون منصفاً بعـد الاستماع لتحليل الروايات فاستمر في القراءة وإلا فما الفائدة من بقائك

(١) سورة التوبة: ٤٠.

(٢) بحار الأنوار، ج ٩١، ص ٣٣٤.

تقرأ هذا الكتاب؟ كن صادقاً مع نفسك وأعلم إن الذي نتكلم عنه عظيم الشأن عند الله وعند الحبيب المصطفى محمدﷺ وكن مستعداً أن تحكم بالحق في عم النبي وحبيبه ولن ينفعك أحد إن ظلمت النبي بتكفيرك عمه رغم الحجج وما تقول في يوم أنت تحتاج إلى شفاعته يوم الحشر بعد أن تستمع إلى التحليل قل الحق واعتقد به ولا تخبرنا بذلك فلا نريد منك أن تشهد لنا به بل أشهد به لنفسك ولمن يهمك أمره وكن منصفاً مع رسول الله وعمه وأطلب من الله الهداية كي لا تكون ظالماً لأعظم خلق الله محمدﷺ وأعلم إن إبليس لن يدعك مع نفسك وشأنها، بل هو لك بالمرصاد وهو عدوك وقبل ذلك عدو نبيك محمدﷺ فحذار منه وما سيقول لك، وأعلم أن وصول هذا الكتاب بيدك هو حجة عليك يوم القيامة وأحذر من أن يغويك إبليس بهذه الكلمات: (إنه أكبر منك من العلماء من لم يعترف بإيمان أبي طالب) (لو كان آمن لعرف ذلك من هم أعلم منك) قل لإبليس قال رسول اللهﷺ أعرف الحق تعرف أهله، فإذا صار الحق عندك جلياً اعرفه وأتبعه تعرف بعد ذلك أهله وقل له: إذا رأيت عالماً يتبع باطلاً فهذا دليل على زيف هذا العالم وليس على أن هذا الباطل حق، وما أكثر أهل النار ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾[1] فلا تبع آخرتك فهي الباقية لك.

---

(١) سورة يوسف: ١٠٣.

محاولات الدس والطعن الواردة ضد أبو طالب:

إن الروايات التي تكفر أبا طالب - والعياذ بالله- جاءت عن الطرق الآتية:

أولاً: عن طريق أبي هريرة وقد أوردت في مقدمة الكتاب اللامعقولات الواردة عن أبي هريرة وكانت هي مقدمة لهذا الكتاب، وروايته الظالمة هذه التي سنوردها ضد أبي طالب تضاف إلى رصيد اللامعقولات عند أبي هريرة.

فأبو هريرة - كما يعتقد كل منطقي- لا يمكن ان نأمنه على ديننا ونأخذ منه الحديث دون ترو.

فكيف نأخذ حديثاً ممن يقول في على أبي طالب - لصالح الدولة الأموية- بان يشهد بالله ان علياً احدث في الدين بعد الرسول حدثاً استوجب بذلك لعنة الله والملائكة والناس أجمعين؟!

وكما أورد ابن أبي الحديد في شرح النهج عن أبي جعفر الأسكافي (ان معاوية وضع قوماً من الصحابة وقوماً من التابعين على رواية أخبار قبيحة في علي عليه السلام تقتضي الطعن فيه والبراءة منه، وجعل على ذلك جعلاً يرغب في مثله فاختلقوا ما أرضاه، منهم: أبو هريرة، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، ومن التابعين عروة بن الزبير)[١].

ونص الرواية السالفة الذكر في ذم علي عليه السلام هي كما يلي:

---

(١) شرح نهج البلاغة، ج٤، ص٦٣.

قال أبو جعفر الاسكافي في رواية عن الأعمش كما جاء في النهج لابن أبي الحديد:

لما قدم أبو هريرة العراق مع معاوية عام الجماعة جاء إلى مسجد الكوفة فلما رأى من كثرة من أستقبله من الناس فجثا على ركبتيه ثم ضرب على صلعته مراراً وقال:

يا أهل العراق، أتزعمون أني اكذب على رسول الله واحرق نفسي بالنار؟

والله إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: انه لكل نبي حرماً وان حرمي بالمدينة ما بين عير إلى ثور فمن احدث فيها حدثاً، فعلية لعنة الله والملائكة والناس أجمعين واشهد بالله ان علياً احدث فيها.

فلما بلغ معاوية قوله، اجازه واكرمه، وولاه امارة المدينة[1].

ولمن أراد الاستزادة في معرفة أبي هريرة فعلية بكتاب «أبو هريرة شيخ المضيرة» للشيخ الأزهري (محمود أبو ريه) الذي يكشف هذا الرجل بشكل علمي ومنطقي.

والحديث الذي رواه أبو هريرة عن أبي طالب عند الاحتضار يكشف زيف هذا الحديث وانه أضحوكة فكيف كان يجلس عند رسول الله في احتضار أبي طالب وهي حادثة سبقت دخوله في الإسلام بـ(١٠) سنوات فأبو طالب مات قبل الهجرة في مكة في شعب أبي طالب وأبو هريرة دخل

---

(١) شرح نهج البلاغة، ج٤، ص٦٧.

في الإسلام في العام السابع للهجرة فأين المنطق؟!

لكن بما ان الحديث يبين أبا طالب كافراً فانه يكون صحيحاً وليكن ما يكون!!!

ونص الحديث الوارد ضد أبي طالب عن طريق أبي هريرة هو كالآتي:

يقول أبو هريرة قال رسول الله لعمه أبي طالب: قل لا اله إلا الله اشهد لك بها يوم القيامة، فأبى أبو طالب وقال: لو لا أن تعيرني قريش... الخ الحديث.

وقد مر علينا بعض التحليل حول تاريخ أبي هريرة وشأنه ما يبين لنا حقيقة هذا الراوي والتي هي واضحة لكل باحث قد قصد الحقيقية بعيداً عن التعصب فهذا الإمام الشيخ محمد عبده وهو علم من أعلام الأزهر والعالم الإسلامي يقول: أن أبا هريرة اختلق من الأحاديث ما أرضى معاوية.

جاء ذلك في كتاب تاريخ الإمام الشيخ محمد عبده للسيد محمد رشيد رضا.

وعن إبراهيم التميمي قال (كانوا لا يأخذون عن أبي هريرة إلا ما كان ذكر جنة أو نار)[1].

وعن الأعمش قال «كان إبراهيم صحيح الحديث فكنت إذا سمعت الحديث أتيته فعرضته عليه، فأتيته يوماً بأحاديث من حديث أبي صالح عن

---

(١) سيرة اعلام النبلاء: ج٢ ص٤٣٨.

أبي هريرة فقال دعني من أبي هريرة، انهم يتركون كثيراً من حديثه»[١].

لقد قال الإمام الحسين عليه السلام في دعاء عرفة وهو يخاطب ربه «عميت عين لا تراك» نحن نفهم من هذه العبارة ان وجود الله واضح جلي بأكثر مما ينبغي فان شاهداً واحداً من هذه الشواهد الموجودة في خلق الله العظيم تكفي لأن يرى الإنسان وجود ربه جلياً، فكيف والشواهد والبراهين لا تعد ولا تحصى، فهكذا العين التي لا تشاهد بالبصيرة وجود الخالق لا تستحق نعمة البصر بل تستحق العمى.

وكما يقول الحق: ﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أم عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[٢] ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمْ اللَّهُ مَرَضًا﴾[٣].

وهكذا كل الحقائق هي جلية لمن أرداها وهي مخفية لمن عمى قلبه وان كانت امامه وهذا هو الاختبار والبلاء الذي يجازي به الله عباده.

وهنا في قضيتنا -قضية إيمان أبي طالب الأمر كذلك فإن الحقيقة واضحة جلية لمن ارادها لكننا نورد الدليل تلو الدليل ليكون حجة على من ينكر الحقيقة، فإذا كان من أمثال المغيرة به شعبه من يتهم أبا طالب بالكفر فهو الدليل على نزاهة أبي طالب.

---

(١) نفس المصدر السابق.

(٢) سورة محمد: ٢٤.

(٣) سورة البقرة: ١٠.

المغيرة بن شعبه كشخص

ولنتعرف على المغيرة به شعبه كشخص ثاني من الرواة بعد أبي هريرة ونكتفي بذلك من تحليل الرواة حول هذا الموضوع ثم ننتقل إلى فصل آخر فمن هو المغيرة بن شعبه وما هو الحديث الذي رواه؟

١- يقول ابن قتيبة في كتاب المعارف سنة ١٩٧٠ص١٢٨، كان المغيرة صاحب قوماً من المشركين، فقتلهم غيلة، واخذ ما معهم هكذا قتل رفاقه قتلهم واخذ نقودهم ولما خاف من ثأر ذويهم، جاء رسول الله ودخل في الاسلام ليحمي نفسه وجاء بنقودهم لرسول الله ليخمسها فرفضها وقال النبي ﷺ: «لا ناخذ من اموالهم شيئاً لان هذا غدراً، والغدر لا خير فيه (جاء في شرح النهج للحديدي).

٢- عبد الرحمن بن عوف يتهم المغيرة بالنفاق والكذب يقول صاحب العقد الفريد: قال المغيرة بن شعبة لعبد الرحمن بن عوف حينما بايع عثمان بالخلافة: يا أبا محمد قد أصبت إذ بايعت عثمان، ولو بايعت غيره لما رضيناه فقال له عبد الرحمن: كذبت يا اعور، لو بايعت غيره لبايعته، وقلت هذه المقالة[1].

٣- الخليفة الثاني يقول للمغيرة أنت الفاجر، قال صاحب العقد الفريد، أن الخليفة الثاني لما شكا إليه أهالي الكوفة سعد ابن أبي وقاص قال: من يعذرني من أهل الكوفة؟ أن وليت عليهم التقي ضعفوه، وان وليت

---

(١) العقد الفريد: ج٣، ص٣٠.

عليهم القوي فجروه فقال له المغيرة: يا أمير المؤمنين التقي الضعيف له تقواه وعليك ضعفه، والقوي الفاجر لك قوته وعليه فجورة فقال صدقت، فأنت القوي الفاجر، فولاه الكوفة[١].

٤- المغيرة يختلق الأحاديث، قال ابن أبي الحديد، أن أبا جعفر الاسكافي قال أن معاوية جعل جعلاً لقوم من الصحابة والتابعين على رواية أخبار قبيحة في علي تقضي الطعن فيه فاختلقوا ما أرضاه، فهم: أبو هريرة، وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة، ومن التابعين عروة بن الزبير[٢]، وحتى المستشرقين لهم في المغيرة قول:

يقول المستشرق كارل بروكلمان الالماني، في كتابه تاريخ الشعوب الإسلامية، ص١٢١، ولى معاوية على الكوفة المغيرة بن شعبة وهو رجل انتهازي لا ذمة له ولا ذمام.

وأشد ما يُقرح القلوب ويُدمي الجفون ما كذب به المغيرة بن شعبة على رسول الله ﷺ حينما نسب إليه القول بأن أبا طالب في ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار كما جاء في صحيح البخاري أعاذنا الله من هذه السفاسف والترهات.

من هنا يقبل هذا الحديث لو كان منصفاً مع رسول الله ﷺ. القرآن قد حفظه الله من التزوير فهل جاء في حفظ السنة النبوية وعد من الله

---

(١) العقد الفريد: ج١، ص١٦.

(٢) شرح النهج: ج١ ص٣٥٨.

بحفظها، إن الوضاعين والكذابين على رسول الله لا حد لهم فقط تحتاج القضية إلى وعي وانصاف ومعرفة بجوهر الحقيقة كي يدرك الانسان الغث من السمين والحق من الباطل.

وما أوردته هنا حول الذين رووا الباطل عن أبي طالب إنما هو نموذج بسيط ومن أراد الاستزادة فعليه بمراجعة كتاب أبو طالب من قريش للكاتب الفذ عبد الله الخنيزي من أعلام مدينة القطيف المباركة.

أبو طالب مؤشر يكشف الحقيقة

أن قضـية أبي طالب في الواقع هي قضية تكشف لنا حقيقة مفادها إن الحكـام إذا أرادوا أن يثبتوا دعائم حكمهم فإنهم يستخدمون كل شيء في هـذا السـبيل ويقلبون كـل الحقائـق والمفاهيم حتى وان كانت ديناً قد هبط مـن السـماء فقـد حـرفوا الأحاديـث وزوروهـا، وإذ لـم يسـتطيعوا تحـريف القـرآن فقد عمدوا إلى تحريف تفسيره ومعانيه وها هو معاوية جعل الحكم والخلافـة وراثـة لبنـي امـية وعلـى الأمـة أن تطـيع وتقـبل وحيث أن معاوية صـحابي، فـيجب أن يعـتقد الجمـيع بعدالـة الصـحابة مهمـا كانوا ويضع لهم حصـانة دينـية مهمـا فعلـوا ومهما قتلوا ومهما بدلوا وعلينا نحن المسلمين أن نكـون همجاً نتبع كل ناعق وفي حديـث: «يُجاء برجال من امتي فيؤخذ بهم ذات الشـمال فأقول: يا ربي اصحابي فيقال: لا تدري ما احدثوا بعدك فأقول كمـا قال العبد الصالح ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾، فيقال، ان هؤلاء لـم يـزالوا مـرتدين علـى اعقـابهم مـنذ فارقـتهم»[1]، وكـأن القرآن لم ينبهنا وينذرنا: ﴿أَفَإِيْن مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾[2].

---

(١) البخاري: ج٦، ص١٧٩.

(٢) سورة آل عمران: ١٤٤.

وفي آية أخرى يخاطب الله النبي عن فئة منافقة لم يعرفها النبي وكشفت قناعها بعد موت الرسول، إذ يقول الله لنبيه ﴿لا تعرفهم نحن نعرفهم﴾، وغيرها وغيرها من الآيات تنهانا ان نكون إمعات مغفلين فالمؤمن كيس فطن والمؤمن يرى بنور الله لا تنطلي عليه الحيل.

فقضية أبي طالب هي أحد المقاييس التي يستطيع الإنسان المسلم ان يقيس بها نفسه!! وغيره.

بعد كل ما قرأت هل تقبل أن أبا طالب كافر وفي النار، وان أبا سفيان وابنه معاوية وحفيده المدلل يزيد يرتعون في الجنة؟!!

قد يقول قائل لقد اشتبهت علي الأمور ولا أستطيع التمييز مع هذا اللغط الكبير، حسناً، فلنحاول أن نجد نبراساً ساطعاً ينير الظلمة ولنبحث عن ركن وثيق لا يختلف عليها اثنان وقد أجمعت عليها الأمة والتفت حولها حتى نصل إلى مشتركات يقبلها الجميع للوصول للحق!

ما رأيك أيها القارئ ان نأخذ رأي أهل بيت النبي في هذا الموضوع؟ موضوع إسلام أبي طالب!!

هذا ونرى رأي اتباع أهل البيت؟

هل تقبل أيها القارئ رآي أهل بيت النبي واتباعهم في أبي طالب؟

اذا كنت تقبل رأيهم فهذا جيد وستراه لاحقاً.

أما اذا كنت لا تقبله، فتعال نناقش هذا الرفض ولنرى هل هو مبرر؟ أم غير مبرر؟ وغايتنا وإياك هو طريق النجاة ان شاء الله.

ان شيعة أهل البيت قد اختاروا طريقاً واضحاً قد أشار إليه النبي ﷺ

وهو طريق أهل البيت الذي لا يقبل الخطأ وقد استقرت نفوسهم واطمأنت في كل قضية ورد فيها الاختلاف ولا يحتارون بعد ذلك، وفي الوقت ذاته نجد الكثير ممن يهاجم الشيعة اتباع آل البيت هجوماً شرساً ويتهمهم بالضلال والبعض من المغالين يتهمهم بالكفر حتى يصل الأمر من بعض أهل التعصب الأعمى إلى رميهم بالكفر والزندقة، ولابد لنا هنا من وقفة نقيّم فيها هذا الوضع فهناك شيعة آل البيت وهناك من يتهمهم بالخطأ والشيعة يردون عليها بأنهم يتبعون الطريق السليم وسواه خطأ.

١- فماذا تقول الشيعة؟

٢- وماذا يأخذ عليهم الطرف الآخر من اشكالات وشبهات؟

٣- وما هو الرد على هذا الاشكالات والشبهات؟

لنحاول ان نوضح الصورة ضمن هذه المحاور الثلاث علنا نصل إلى تصور ينفعنا في التماس طريق الحق وبالتحديد ما قيل في أبي طالب ودفع الظلم الذي وقع عليه، اضافة إلى كل ما تختلف فيه الأمة المسلمة.

منهج أتباع أهل البيت عليهم السلام

قبل البدء لابد من كلمة!

إذا كنت أيها القارئ ليس من اتباع أهل البيت فينبغي لك أن لا تطلق الأحكام الجزافية قبل ان تقرأ ما سيتقدم صفٍّ نفسك حتى تستطيع أن تتجرد من كل عصبية وتكون نفسك مستعده لقبول الحق أياً كان وأينما يكون وتذكر قول الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً ۞ الَّذِينَ

ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾[١].

فقد يكون الحق هو ما كنت تعتقده باطلاً وقد يكون باطلاً ما كنت تعتقده حقاً.

رجاءاً توقف عن القراءة برهة وفكر وتأمل ما قلته ثم عد للقراءة ثانيةً!

ماذا تقول الشيعة؟

إذا سالت أي أحد من المسلمين هذا السؤال هل ضمن الله حفظ القرآن؟

فسوف يكون الجواب نعم من كل المسلمين شيعة وسنة بدليل الآية الكريمة **﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾**[٢].

والكل يعرف أن القرآن يحتاج لتفسير **﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ﴾**[٣]،«والكل يعرف ان النبي قال اني تارك فيكم الثقلين ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي ابداً»[٤].

أي ان الذي يتمسك بالقرآن وهو الثقل الأول فقط سيكون من الضالين!؟

---

(١) سورة الكهف: ١٠٣-١٠٤.

(٢) سورة الحجر: ٩.

(٣) سورة آل عمران: ٧.

(٤) بحار الأنوار، ج٢٣، ص١٠٦.

ولا أحد يختلف معي في ذلك بنص الحديث إذ قال ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا أي لو تمسكتم بثقل واحد وتركتم الآخر فسوف تضلون، والشرط الوحيد هو التمسك بالاثنين «ما ان تمسكتم بهما ....»، فنحن محتاجون للثقل الثاني كي نعرف ماذا يقول القرآن وما هو تفسيره؟!!

وتكملة الحديث عن الثقلين هو ورد بصيغتين واحدة تقول كتاب الله وسنتي ورواية أخرى تقول كتاب الله وعترتي أهل بيتي، هاتان الروايتان وردتا عند أهل السنة، الرواية الأولى «سنتي وردت مرة واحدة» أو عن طريق واحد وبحديث مبتور السند وأما كتاب الله وعترتي، فقد وردت بأحد عشر طريقاً، وهو المتواتر والصحيح.

أما الشيعة فان الرواية الصحيحة عندهم «كتاب الله وعترتي أهل بيتي» فلنسلم جدلاً بان الرواية الصحيحة هي كتاب الله وسنتي، جميل! وهنا اسأل سؤالاً أخر! هل ورد بيان شرعي على حفظ السنة كما ورد في القرآن ضمان حفظ الذكر «القرآن» لا أحد يستطيع ان يقول ان الله أو النبي قد ضمن حفظ السنة!

فما الفائدة من التمسك بالقرآن الذي هو مضمون الحفظ مع السنة التي هي غير مضمونة الحفظ؟ والمسلمون كلهم يشاهدون كماً من الأحاديث المكذوبة على رسول الله والضعيفة والموضوعة ما يملأ المجلدات والمكتبات فأين هذا الضمان والأمان من الضلال إذا تمسكنا في سنة لا نعرف الصحيح منها وحتى على مستوى الصحاح إلى الآن تسمع عن دعوات تطالب بتنقيحها وحذف بعض الأحاديث منها بحجة ضعفها بينما

السبب هو انها لا تناسب كثيراً من المسلمين وتتعارض مع نهجهم - وقد يحذف الصحيح ويترك الضعيف - فيزداد الطين بله ونركس اكثر فأكثر.

إذن فأين الضمان للنجاة من الضلال؟ «ما ان تمسكتم بهما لن تظلوا بعدي ابداً».

والجواب واضح كالشمس في رابعة النهار ولا يحتاج حتى إلى البحث الروائي في صحة الرواية التي تذكر أن الثقل الثاني هو أهل البيت لأن القرآن المحفوظ يحتاج إلى أناس ثقات والسنة تحتاج إلى اناس ثقات ليحملوها لنا ناصعة، وها هو القرآن يشير لنا بوضوح ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[1]، ويشير إلى الراسخون في العلم ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ﴾ وهنا تكتمل المعادلة بوضوح الله جل وعلا يضمن لنا حفظ القرآن وهو كذلك ويضمن لنا طهارة أهل البيت من كل رجس ودنس «ويطهركم تطهيرا» بكل تأكيد والنبي يقول كتاب الله وعترتي أهل بيتي فهذا هو الحق الواضح لمن أراده ولمن أراد البحث الروائي في صحة رواية أهل بيتي فالآمر بسيط، فالحق واضح ابلج وهو اتباع أهل البيت لأنهم هم من يستطيع ان يفسر القرآن وعلى رأسهم سيدهم بعد رسول الله الإمام علي عليه السلام إذ ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال:«انا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد المدينة فليأتها من بابها»[2] والقرآن

---

(١) سورة الاحزاب: ٣٤.

(٢) بحار الأنوار، ج ٤٠، ص٨٧

كتاب ذو وجوه وبطون لا يعلم تأويله إلا الراسخون في العلم كما جاء ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ﴾ كما جاء في الآية، وهذه إشارة وهذه إشارة من الله لنا كي لا نأخذ تأويله إلا من الراسخين وهل هناك راسخ في العلم مثل باب مدينة علم الرسول علي بن أبي طالب والشيعة إنما يتبعون آل البيت بعد رسول الله سمعاً وطاعة لما أمر به الله عز وجل ﴿وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾[1] والنبيﷺ امرنا باتباع آل البيت الأطهار طلباً للنجاة والخلاص من الضلال «لن تضلوا» بعدي ابداً.

وهل يكره أحد ان يضمن عدم الضلال والاستقامة!!

هذا ما عملته الشيعة وباختصار اتباع آل البيت المحمدي بعد الرسول بوصية منه ﷺ.

بقي ان نقول من هم آل البيت بالتحديد وبالأسماء حتى نضمن ان لا نتبع غيرهم على أساس انهم هم آل البيت وهم ليسوا كذلك!!؟

لا يختلف اثنان من اتباع أهل البيت في ان المقصود بهم علي وفاطمة والحسن والحسين وأبناء الحسين لكن أجد لزاماً علينا ان ننقل ما يقول أهل السنة والجماعة، وقد اخترت واحداً من اشد المعادين لشيعة أهل البيت وهو ابن حجر الهيثمي وكتابه الصواعق المحرقة فماذا يقول ابن حجر في صواعقه في من المقصود بأهل البيت.

---

(١) سورة الحشر: ٧.

يقـول ابـن حجر قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أهل الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[1].

يقـول ابـن حجـر اكثـر المفسـرين علـى انهـا نـزلت فـي علـي وفاطمة والحسن والحسين[2].

ويقـول ابـن حجر «اخرج احمد عن أبي سعيد الخدري انها نزلت في خمـس (النبـيﷺ وعلـي وفاطمـة والحسـن والحسين) وأخرجه ابن جرير عـن الرسـول قـال: نـزلت هـذه الآيـة في خمس في علي والحسن والحسين وفاطمـة، وأخـرجه الطبراني أيضا ومسلم انهﷺ ادخل أولئك تحت كساء عليه وقـرأ هـذه الآيـة، وصـح انـهﷺ جعـل علـى هؤلاء كساء وقال اللهم هـؤلاء أهـل بيتـي وحامتـي - أي خاصـتي- اذهـب عنهم الرجس وطهرهم تطهيـرا فقالـت أم سلمة وانا معهم قال انك على خير، وفي رواية انه قال بعد تطهيـراً انـا حـرب لمن حاربهم وسلم لمن سالمهم وعدو لمن عاداهم، وفي روايـة أخـرى انـه وضـع يده عليهم في ص١٤٥، وفي رواية انه قالﷺ ألا من آذى قرابتي فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله، وفي رواية أخرى قال: «والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى يحبني ولا يحبني حتى يحب ذويّ».

فأقـامهم مقـام نفسـه ومـن ثم صح انهﷺ قال: أني تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي.

---

(١) سورة الأحزاب: ٣٣.

(٢) الصواعق المحرقة، ابن حجر، ص١٤٣، مكتب القاهرة، ط٢.

واخرج الترمذي والنسائي عن الجابر، وكنز العمال ص٤٤، ج١.

قال صلى الله عليه وآله «أيها الناس اني تركت فيكم ما ان اخذتم به لن تضلوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي».

واخرج الترمزي عن زيد بن ارقم وهو الحديث ٨٧٤ عن كنز العمال ج١، ص٤٤.

قال صلى الله عليه وآله «اني تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدي، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي، ولن بفترقا حتى يردا على الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما».

ولمزيد من الالتفات إلى ما قد فات كثيراً من المسلمين مما اراده رسول الله لهم اذكر حادثة بين قوسين ثم نرجع إلى اصل بحثنا في أهل البيت وهذه الحادثة خطيرة جداً على المسلمين ورسالتهم ومسيرتهم بحيث يمكن ان تحدد مصيرهم إلى يوم القيامة وهذه الاهمية ليست من تحليلي أو تعليقي بل هذه الخطورة والاهمية من رسول الله وهي كما جاءت:

ان رسول الله صلى الله عليه وآله عندما حضرته الوفاة قال لمن حوله «أئتوني بدواة وكتف اكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعدي ابداً» فماذا حصل حينها؟!

اخي المسلم افترض انك كنت جالساً عند رسول الله صلى الله عليه وآله روحي وارواح العالمين له الفداء، ورأيت رسول الله في آخر ساعاته من الدنيا ويطلب منك طلباً! أظنك سوف تقول قبل ان اكمل سؤالي لو طلب روحي لقدمتها بين يديه مسروراً مفتخراً وهذا حال كل مسلم محب للمصطفى فما بالك لو كان طلبه شيئاً يكتب به وصية تحمي الأمة الإسلامية من الانحراف

إلى يوم القيامة!

أرجوك أخي المسلم القارئ كن منصفاً حتى النهاية ماذا حدث عندما طلب رسول الله طلبه؟

اخرج مسلم من آخر كتاب الوصية من صحيحة واحمد من حديث ابن عباس ج ١، ص ٢٢٢، ورواه سائر المحدثين وأخرجه مسلم في كتاب الوصية من الصحيح عن سعيد بن جبير من طريق آخر عن ابن عباس قال: يوم الخميس وما يوم الخميس، ثم جعل تسيل دمعة حتى رؤيت على خديه كأنها نظام اللؤلؤ، قال: قال رسول الله ﷺ أئتوني بالكتف والدواة، أو اللوح والدواة، اكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده ابداً، فقالوا، ان رسول الله يهجر وفي رواية آخرى يكمل ابن عباس: فاختلف أهل البيت - أي الذين كانو في البيت آنذاك - فاختلفوا منهم من يقول: قربوا يكتب لكم النبي كتاباً لن تضلوا بعده ومنهم من يقول ما قال عمر - أي يقول - هجر رسول الله.

وفي رواية أخرى للبخاري قد خففت كلمة ان النبي يهجر إلى (ان النبي قد غلب عليه الوجع) إذ يروي في الجزء الرابع في صحيحة في باب قول المريض قوموا عني.

عن ابن عباس قال لما حضر رسول الله ﷺ وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب قال النبي ﷺ: هلم اكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده، فقال عمر ان النبي قد غلب عليه الوجع، وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله، فاختلف أهل البيت فاختلفوا، منهم من يقول: قربوا يكتب لكم النبي كتاباً

لا تضلوا بعده ومنهم من يقول ما قال عمر فلما اكثروا اللغو والاختلاف عند النبي قال لهم رسول اللهﷺ: قوموا (وهذه اول مرة يطرد فيها النبي اناساً عنده) فكان ابن عباس يقول: ان الرزية كل الرزية ما حال بين رسول اللهﷺ وبين ان يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغطهم.

اخي القارئ قف عند هذه الحادثة وتأمل اموراً عدة علها تفيدك ففي رواية ان (تفكير ساعة خير من عبادة سبعين سنة) قد يكون السبب ان التفكير ساعة قد يرشدك إلى الصواب أما العبادة قد تكون سبعين سنة على نهج خاطئ وبلا فائدة.

هذه الرزية رزية يوم الخميس كما يسيمها ابن عباس منعطف خطير في حياة أي مسلم، تأملها واعتبر ولا تدع أي شخص يبررها لك مهما كان علمه ومكانته، كيف لمسلم ان لا يمتثل لامر رسول اللهﷺ وليتهم اكتفوا بعدم الامتثال بل ردوا عليه إذ قالوا حسبنا كتاب الله وكأنهم اعلم من رسول الله بكتاب الله وليتهم اكتفوا ولن يتجرؤا على النبي بهذه الكلمة الجارحة (هجر رسول الله) وهو يحتضر بينهم وأين هم من كتاب الله حين يقول ﴿وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾[1].

وقوله ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ* ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ* مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ* وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾[2] وقوله: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ

---

(١) سورة الحشر: ٧.

(٢) سورة التكوير: ١٩-٢٢.

كَـرِيمٍ* وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ* وَلاَ بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَا تَذَكَّـرُونَ* تَنـزِيلٌ مِـنْ رَبِّ الْعَالَمِـينَ﴾[١]، وقوله تعالى ﴿مَـا ضَـلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى* وَمَا يَنْطِقُ عَنْ الْهَوَى* إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى* عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾[٢].

لكنهم علموا ان ما أراد ان يكتبه هو تفصيل لما كان يحدث به إذ كان يقولﷺ اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي ابداً، ويتضح ذلك من خلال ضمان عدم الضلال في الحديث (لن تضلوا) في حديث الثقلين وحديث طلب الدواة واللوح لكتاب ضمان عدم الضلال فيا للجرآة على رسول اللهﷺ ولو اصر النبي اكثر على ان يكتب لكانت الجرآة اكثر ولربما طعن في كثير من كلام النبي ولن افصل اكثر وسأترك لك انت القارئ ان تفكر وتستنتج!

فقط ضع نفسك واحداً من الذين كانوا عند النبيﷺ وجاءك الأمر من النبي ماذا كنت سترد؟ توقف عن القراءة وفكر بقدر ما تستطيع، ضع الكتاب من يدك وعش مع الحديث والحدث وابحث وتأكد من صحة الحديث ان اردت وكن حراً لك رأيك وقرارك الذي على اساسه تحاسب يوم القيامة وعلى اساسه تجيب رسول الله هو شفيعك لو سألك ماذا كان رأيك في ظلامتي وما هو موقفك؟

---

(١) سورة الحاقة: ٤٠-٤٣.

(٢) سورة النجم: ٢-٤.

تذكر انك بحاجة لشفاعته الكريمة وتذكر انه كان في حال الاحتضار وتذكر انه قال ما اوذي نبي بمثل ما أوذيت وتذكر قول الله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾(١).

إياك أخي المسلم ان تمر على هذه الرزية مرور الكرام، ادرك الحدث واستوعبه وستعرف حينها كم من الحقائق قد زيفها التاريخ وانطلت على الكثير من المسلمين اكرر ذلك لو كنت صادقاً مع نفسك ستلمس الحقيقة عندما تأخذ الحقائق فقط وتحللها بنفسك ولا تأخذ تفسيراً وتبريراً وتأويلاً من الآخرين عندها سوف ترى نور الحقيقة.

نتوقف هنا ونعود إلى موضوعنا وقبل ان نغادر هذه الفقرة اتساءل واقول لمن اعترض على النبي وقال انه يهجر وحسبنا كتاب الله، اقول هل يحق لأحد في الدنيا ان يمنع عن رسول الله طلبه؟ كائنا من كان؟

وهل لأحد ان يجيب بغير النفي؟

لنعود لبحثنا وهو ما أوصى به النبيﷺ اتباع آل بيته لضمان عدم الضلالة ولنستعرض بعض الأحاديث التي تؤكد هذا المعنى بما لا يدع مجالاً لأدنى شك في هذا المعنى.

قال رسول اللهﷺ «إن مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق» الحاكم في المستدرك.

---

(١) سورة الاحزاب: ٥٧.

وقد عرض القرآن الكريم قصة سفينة نوح وكيف انها هي السبيل الوحيد للنجاة آنذاك وكيف ان ابنه أراد النجاة بطريق آخر ﴿قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنْ الْمَاءِ﴾، فقال له نوح عليه السلام ﴿قَالَ لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلاَّ مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنْ الْمُغْرَقِينَ﴾(١).

أن الطريق واحد وان أي طريق آخر نتيجته الغرق والهلاك، فنحن في هذه الدنيا في بحر عميق نتيجته الهلاك، انظر يمنةً ويسرة تراها مليئة بالفسق والضلال من كل جانب دعوات مشبوهة من جميع الأصناف والجهات ولكن النجاة في طريق واحد وهو سفينة أهل البيت من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق ولا عذر بعد ذلك للهالكين فقد بح صوت رسول الله من أول يوم في الدعوة من الإشارة إلى وصيه علي حتى آخر ساعة من حياته، انظر اخي المسلم، هل تستطيع أن تكمل صلاتك من غير ذكر أهل البيت الطاهرين، ما معنى ذلك؟ اجب أنت. ما معنى أن ينهانا الرسول أن نصلي عليه الصلاة البتراء، قالوا وما الصلاة البتراء قال صلى الله عليه وآله أن تصلوا علي وتنسوا آلي، يذكر هذا الحديث ابن حجر، ويا للعجب فأنه في نفس الصفحة يصلي على النبي صلى الله عليه وآله صلاة بتراء!!

وبشكل مختصر نجد أن رسول الله قد أشار إلى ضرورة اتباع أهل بيته من بعده وقد أشار إلى أولهم وهو على بن أبي طالب عندما عينه في غدير خم وقال ألست أولى بكم من أنفسكم قالوا بلى قال من كنت مولاه فهذا

---

(١) سورة هود ٤٣.

علي مولاه اللهم والي من والاه وعادِ من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله[1]، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله في حديث بيّن أن الأئمة الهداة من بعده اثنا عشر كلهم من قريش وهم بالترتيب الآتي:

١- الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

٢- الإمام الحسن بن علي عليه السلام.

٣- الإمام الحسين بن علي عليه السلام.

٤- الإمام زين العابدين علي بن الحسين الشهيد عليه السلام، وبعده ابنه

٥- الإمام محمد الباقر عليه السلام، المدفون بالبقيع بالمدينة وبعده ابنه.

٦- الإمام جعفر الصادق عليه السلام، المدفون بالبقيع وبعده ابنه.

٧- الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، المدفون في بغداد وبعده ابنه.

٨- الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام، المدفون في خراسان وبعده ابنه.

٩- الإمام محمد الجواد عليه السلام، المدفون في بغداد وبعده ابنه.

١٠- الإمام علي الهادي عليه السلام، المدفون في سامراء وبعده ابنه.

١١- الإمام الحسن العسكري عليه السلام، المدفون في سامراء وبعده ابنه.

١٢- الإمام محمد المهدي عليه السلام، وهو الإمام الغائب المنتظر الذي بشر به رسول الله وبظهوره تملأ الأرض عدلاً بعدما ملأت ظلما وجورا.

وقد أشار ابن حجر الهيثمي في صواعقه إلى أسماء الأئمة الأثنى عشر وقد أورد حديثا عن النبي صلى الله عليه وآله انه يهدي سلامه إلى الإمام محمد

---

(١) راجع كتاب الغدير أن أردت الاستزادة.

الباقر ابن زين العابدين حفيد الحسين حين قال له الصحابي الجليل جابر الأنصاري وهو صغير: «رسول الله يهديك السلام فقيل له - أي لجابر - وكيف ذاك قال: كنت جالساً عنده والحسين في حجره وهو يداعبه فقال النبي يا جابر يولد له مولوداً اسمه علي إذا كان يوم القيامة نادى مناد ليقم سيد العابدين فيتقدم، ثم يولد له ولد اسمه محمد فإن أدركته يا جابر فاقرأه مني السلام»[1]، وذكر فضله بعد ذكر فضل علي والحسن والحسين وزين العابدين ثم محمد الباقر وهكذا جعفر الصادق ثم موسى الكاظم ثم علي الرضا ثم علي الهادي وسماه العسكري ثم الحسن العسكري وسماه الخالص، ثم ذكر انه لم يخلف غير ولد واحد اسمه محمد غاب وهو ابن خمس سنين وقال مفترياً على الشيعة أن الرافضة تقول انه المهدي المنتظر جاء ذلك حتى ص٢٠٨ من الصواعق الذي شهد بالحق بفضلهم وليراجع من أراد التفصيل وورد أيضاً أسماء الأئمة الأثني عشر في بعض كتب السنة.

فقد جاء في فرائد السبطين للحمويني المصري ج٢ ص١٢٣ مثل ما جاء في ينابيع القندوزي ج٣ ص٢٨٢: عن مجاهد بن عباس قال: قدم يهودي على رسول الله ﷺ يُقال له نعثل فقال يا محمد إني أسألك عن أشياء، إلى أن قال فاخبرني عن وصيك من هو؟ فما من نبي إلاّ وله وصي وان نبينا موسى بن عمران أوصى إلى يوشع بن نون فقال نعم أن وصيي والخليفة من بعدي علي بن أبي طالب وبعده سبطاي الحسن والحسين

---

(١) الصواعق المحرقة، ص٢٠١.

يتلوهما تسعة من صلب الحسين أئمة ابرار قال يا محمد سمهم لي قال ﷺ نعم اذا مضى الحسين فابنه علي فإذا مضى علي فابنه محمد فإذا مضى محمد فابنه جعفر فابنه موسى فاذا مضى موسى فابنه علي فإذا مضى علي فابنه محمد فإذا مضى محمد فابنه علي ثم ابنه الحسن ثم الحجة ابن الحسن أئمة عدد نقباء بني إسرائيل فهذه اثنا عشر وأورد مثل ذلك الكثير نُعد منهم على سبيل المثال لا الحصر - العلامة محمد الحنفي الترمذي في كتاب المناقب الرضوية ص١٢٧- صاحب المحجة على ما في ينابيع المودة) ص ٤٢٧ درر السمطين للحمويني.

ولمن أراد الاستزادة حول هذا الموضوع في أحقية مذهب أهل البيت فعليه مراجعة الكتب المتخصصة في ذلك وافضلها كتاب المراجعات للعلامة السيد الحسين شرف الدين والذي يملأ مكتبات العالم اجمع وهو كتاب حواري بين السيد عبد الحسين شرف الدين وبين عالم الازهر في زمانه الشيخ سليم البشري شيخ الجامع الأزهر.

ولكن لابد من الإشارة إلى بعض مصادر ورود الخلفاء الاثني عشر في كتب السنة وفي صحاحهم وبشكل متواتر لا يقبل الشك:

١- اخرج البخاري واحمد والبيهقي بسندهم عن جابر بن سمرة قال سمعت رسول ﷺ يقول يكون اثنى عشر أميراً كلهم من قريش[(١)].

٢- اخرج مسلم عن جابر بن سمرة سمعت النبي ﷺ يقول « ان هذا

---

(١) البخاري في كتاب الأحكام، باب ٥١، ج٤: ص٣٧٥.

الأمر لا ينقضي حتى يمضي فيهم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش»[١]، وفي بعض الروايات كلهم من بني هاشم.

- واخرج احمد عن جابر بن سمرة قال سمعت رسول الله يقول: يكون بعدي اثنا عشر خليفة كلهم من قريش[٢].

- واخرج احمد والحاكم قال النبي صلى الله عليه وآله: لا يزال أمر أمتي صالحاً حتى يمضي اثنا عشر خليفة[٣].

اكتفي بهذا القدر من تبيان أحقية مذهب الشيعة أي مذهب أهل البيت حتى أستطيع أن أورد ما أوردوه بخصوص أبي طالب وبقي أن نرد بعض الشبهات حول مذهب أهل البيت وشيعتهم من قبل مخالفيهم وبعد ذلك سنكمل حديثنا عن أبي طالب عليه السلام.

فالشبهات التي وردت ضد شيعة أهل البيت من مخالفيهم هي بشكل مختصر كالآتي:

١- الصلاة على التربة والجميع من الصلوات.

٢- الأذان.

٣- زواج المتعة.

٤- المأتم الحسينية.

---

(١) كتاب الأمارة: ج٣، ص١٤٥٢.

(٢) سنن ابن داود: ج٤، ص٤٨٦، كتاب المهدي.

(٣) المستدرك: ج٣، ص٦١٨.

٥- زيارة القبور والتبرك بها، وطلب الشفاعة من اولياء الله موضوع الشرك والتسمية بعبد الرسول أو عبد الحسين.

وهنا سوف أمر مرور الكرام على هذه الشبهات والرد عليها؛ لأنها ليست في إطار بحثنا ولمن أراد الاستزادة فيستطيع مراجعة الكتب المختصة بهذه المواضيع.

قبل الشروع في الشرح أؤكد نقطة ان هذه الأمور الفقهية عند الشيعة قد أخذت من أئمة أهل البيت الذين أوصى بهم النبي صلى الله عليه وآله ولم يأخذوها كغيرهم من أئمة مذاهب ولدوا بعد اكثر من ١٥٠ سنة بعد وفات النبي صلى الله عليه وآله ولم يوص النبي بالتعبد على مذهبهم فقد ولد الأشعري سنة ٢٧٠ هـ ومات سنة ٣٣٠، وابن حنبل ولد سنة ١٦٤، ومات سنة ٢٤١، والشافعي ولد سنة ١٥٠، ومات سنة ٢٠٤، وولد مالك سنة ٩٥، ومات سنة ١٧٩، وولد أبو حنيفة سنة ٨٠ ومات سنة ١٥٠.

فأئمة أهل البيت هم العدل الثاني للقرآن وهم سفن النجاة وهم الطاهرون الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وكانوا داخل البيت النبوي.

١- السجود على التربة والجمع بين الصلاتين: الشيعة لا يجوزن السجود إلا على الأرض الطبيعية مثل التراب أو الحجارة أو القش أو العشب مثلما كان يعمل رسول الله صلى الله عليه وآله فلا يجوز السجود على ما يؤكل أو ما يلبس والسجاد والأنسجة، بل يتحقق تمام الخضوع لله بالسجود له وجباهنا على ارخص شيء وهو التراب حتى أن بعض الصحابة كان يتأذى

من حرارة الأرض فكان يبرد بعض الحصى بيديه ثم يسجد عليه إذ قال رسولﷺ: «جعلت لي الأرض مسجداً وطهورا»[(١)]. وكان لدى رسول الله قطعة من الطين والقش يسجد عليها أحياناً يسميها الخثرة.

فكما لا يجوز التيمم على غير الأرض كذلك لا يجوز السجود على غير الأرض كما كان فعل رسول الله في المساجد آنذاك حيث التراب وليس السجاد والفرش وغيره.

وأما الجمع بين الظهر والعصر وكذا الجمع بين المغرب والعشاء فقد ثبت لدى الشيعة والسنة بأن رسول الله قد جمع بين الصلاتين من غير مطر أو خوف أو سفر أي بدون أي عذر[(٢)].

فهذا عمل مباح ولا يحق لاحد ان يحرمه كيف يشاء فحلال محمد حلال إلى يوم القيامة وحرامه حرام إلى يوم القيامة.

٢- الشهادة الثالثة في الأذان وهي اشهد ان علياً ولي الله لو قدمنا كل الأسباب والأدلة في الوجود لذكر الشيعة في آذانهم الشهادة الثالثة بان علياً ولياً الله فلن يقبل المخالف وسيقول هذه بدعة في الدين فسأُريح نفسي وأقول كيف تكون هذه بدعة في الدين ولا تكون إضافة عبارة «الصلاة خير من النوم في صلاة الفجر من قبل الخليفة الثاني بدعة».

---

(١) البخاري: ج١، ص١٢٨، كتاب التيمم وفي مسلم كتاب المساجد.

(٢) صحيح مسلم: ج٢، ص١٥١، واحمد: ج١، ص٢٢٣، والترمزي والنسائي والبيهقي...الخ.

واختصاراً للموضوع نكتفي بالنسبة لهذه النقطة.

٣- الزاواج المؤقت (زواج المتعة)، كل الروايات والأحاديث ثبتت ان هذا الزواج كان على زمن رسول الله وقال عثمان كان هذا الزواج على عهد رسول الله وعهد أبي بكر وحرمه عمر بن الخطاب بقوله: متعتان كانتا حلالاً على عهد رسول الله وأنا احرمهما وأعاقب عليهما، متعة الحج ومتعة النساء، ومرة قال لي أحد الأشخاص السنة ممازحاً ما الدليل على حلية المتعة فأجبته ممازحاً أيضا بان الدليل ان عمر قد حرمها وانتهى الموضوع.

ولكن من يريد ان يجادل بقول (من يقبل ان ابنته أو اخته ان تتزوج بشكل مؤقت (المتعة)؟) والجواب: ان الله قد رضي شيئاً كريهاً بغيضاً وهو الطلاق ابغض الحلال عند الله الطلاق فاذا كان قد احل شيئاً يبغضه ولم يصبح حراماً لأن الله يبغضه فهل يصبح الزواج المؤقت حراماً لان فلاناً يكرهه لابنته أو لأخته.

مَنْ مِن الناس يرضى بأن تطلق ابنته مرة أو مرتين أو ثلاث؟ لا أحد يرضى بذلك ولكن هذا يحدث وحلال وكذلك لا أحد يرضى ان تتزوج اخته أو ابنته زواجاً مؤقتاً، وهذا لا يجعله حراماً وسبحان الله ها هو الزواج المسيار قد طرق أبواب المجتمع السني بكل قوة وفتحت له الأبواب على مصراعيها وهو زواج مؤقت بحلة جديد وهو التفاف على الموضوع ولا أحد يرضى لأخته زواج المسيار لا أحد يقول ان زواج المتعة أو زواج المسيار أو الطلاق أشياء مرغوبة أو مرضية لكنها أمور بمثابة الدواء المر لبعض أمراض المجتمع وهذا شرع الله (وويل لمن يحرم أو يحلل على هواه ورأيه).

فحلال محمد حلال إلى يوم القيامة وحرامه حرام إلى يوم القيامة.

وبالمناسبة اذكر هنا أمراً في الطلاق يكشف لنا عظمة فقه أهل البيت ففي فقه أهل البيت لا يتم الطلاق إلا بحضور شاهدين عدلين إضافة إلى كون المرأة على طهر ولم تجنب بعده وهذا من الأمور التي لو طبقها السنة لقلت نسبة الطلاق إلى أدنى المستويات مما هو عليه؛ لان كثير من الطلاق يحدث في ساعات الغضب وتطبيق شروطه بإحضار الشاهدين العادلين تكون فورة الغضب قد هدأت وتغيرت الآراء هذا مثال واحد يثبت كيف أن أهل البيت هم سفن النجاة من ركبها نجا ومن تركها غرق.

٤- المأتم الحسيني من بكاء مستمر على الحسين ولبس السواد وضرب الصدور بالايادي، والرؤوس بالسيوف...الخ

بالنسبة للبكاء فسأذكر باختصار شديد جداً كيف كان رسول الله ﷺ يتعامل مع البكاء، إن البكاء على شخص إنما يعبر عن حب ذلك الشخص وكلما كان حبك لشخص شديداً كان بكاؤك عليه اكثر، الم يتأثر رسول الله ﷺ عندما لم يجد من يبكي على عمه حمزة بشكل يتناسب مع قدرة ومنزلته؟ وحينها قال وأما حمزة فلا بواكي له، فاستجاب المسلمون لنداء النبي ونصبوا له مأتم يبكون فيه على حمزة ويندبون.

- وكذلك بكى رسول الله على قبر امه وابكى من حوله.

كذلك نجد ان رسول الله في اجتماع مع أهل بيته واخذوا يبكون على الإمام الحسين بعد ان اخبره جبرئيل عليه السلام بما يجري على الحسين عليه السلام فنحن الشيعة نحب الحسين حباً لا نظير له وهو حب لله ورسوله، وبطلب من الله

ورسوله حينما قال تعالى: ﴿قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾[1].

فلو مات صديق لك وعزيز عليك، فانك قد تبكيه اياماً، ولو كان اعز، فستبكيه شهوراً ولو كان ابناً لك فستبكيه ربما سنين ولو مات مقتولاً ومظلوماً وامام عينيك فسيطول حزنك اكثر ولربما العمر كله ونحن الشيعة حبنا للحسين شديد لا يكفينا ان نبكيه العمر كله وخصوصاً بالطريقة التي قتل بها فقد لا تجد في كل التاريخ من قتل وظُلم في قتله وعياله ونسائه كما جرى للحسين عليه السلام وكلما سمعنا بما جرى عليه زادت حسرتنا واشتد بكاؤنا وهو كما أسلفت حب وتعبير عن حبنا له ولجده رسول الله ولو قرأت في كتب السنة ما جرى في الكون لعلمت ان الأمر ليس طبيعياً ابداً، اقرأ ما جاء في الصواعق لابن حجر وهو متعصب ضد الشيعة فستقرأ العجب، كيف ان السماء أمطرت دماً في يوم قتل الإمام الحسين عليه السلام ألم تقرأ أنّ رسول الله أعطى تربة في قارورة لأم سلمة بها تربة من كربلاء اخبرها عن جبرئيل عن الله أنها ستصير حمراء يوم قتل الحسين ألا يخبرك هذا الحديث القدسي عن عظم هذا الأمر ثم ان إحياء ذكرى قتل الحسين إنما هو إحياء لأمر الجهاد ضد الظالمين.

أما قضية ضرب الرؤوس بالسيوف وإخراج الدم فهي قضية اختلف فيها العلماء فمنهم من يقول إنما هو إظهار للموقف بشكل طبيعي على

---

(١) سورة الشورى: ٢٣.

شكل مشهد درامي مؤثر يعطي للمناسبة حرارة وبعداً حقيقياً بشرط ان لا يؤذي الشخص نفسه بضرر بالغ وعندنا في الإسلام الحجامة مستحبة وهي اخراج الدم من الجسد، ومنهم من يقول بغير ذلك ان هذا الأمر ليس ركنا من المذهب الشيعي وإنما هي اجتهادات لا تمس اساس الدين كما توجد في كل مذهب طقوس معينة يتركها البعض ويحببها البعض الآخر داخل المذهب الواحد مثل حلقات الذكر المنتشرة في مصر والمغرب العربي.

قضية المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف

أن الذين يعيبون على الشيعة ويستهزؤون بقضية المهدي المنتظر عليه السلام إنما يستهزؤون برسول الله صلى الله عليه وآله والعياذ بالله لان المهدي جاء ذكره على لسان الرسول صلى الله عليه وآله وفي الصحاح الستة في البخاري ومسلم وابن ماجة وابي داوود والنسائي، واحمد وفي مستدرك الصحيحين ومجمع الزوائد ومسند الشافعي وسنن البيهقي ومسند أبي حنيفة وكنز العمال ... وغيرها كثير وفي كتب التاريخ تجد ذكر المهدي على لسان النبي في تاريخ الطبري وتاريخ ابن الأثير وتاريخ المسعودي وتاريخ السيوطي وتاريخ ابن خلدون... وغيرها.

وهو على لسان كل المسلمين علماءً وافراداً على سبيل المثال لا الحصر وفي عجالة شديدة كي لا نخرج عن الموضوع إلى موضوع آخر وإنما هو للضرورة.

عن أبي أيوب الانصاري في ينابيع المودة للقندوزي قال: قال رسول

الله لفاطمة رضي الله عنها: منا خير الأنبياء وهو أبوك ومنا خير الأوصياء هو بعلك ومنا خير الشهداء وهو عم أبيك حمزة ومنا من له جناحان يطير بهما في الجنة حيث يشاء وهو ابن عم أبيك جعفر ومنا سبطا هذه الأمة وهما ابناك ومنا المهدي وهو من ولدك.

وفي مسند احمد بن حنبل، قال رسول الله صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ: تملأ الأرض ظلماً وجوراً ثم يخرج رجل من عترتي يملك سبعاً أو تسعاً يملؤ الأرض قسطاً وعدلاً.

الحافظ السيوطي الشافعي، عن النبي صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ: المهدي رجل من ولدي وجهة كالكوكب الدري مسند احمد بن حنبل (امام الحنابلة)، عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ: لا تقوم الساعة حتى يملك رجل من أهل بيتي يملؤ الأرض عدلاً كما ملئت قبله ظلماً.

زيارة قبور النبي والأئمة والأولياء
والتوسل بهم إلى الله والتبرك بهم

أن في عقيدة الشيعة وكثير من السنة أن النبي وائمة أهل البيت وان ماتوا في الظاهر فهم ليسوا كذلك وهذا القرآن يصرح ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[1]، وفي آية آخرى ولكن لا تشعرون، وهذه منزلة لهم ومنزلة النبي لا شك اعظم منزلة في الكون فكيف نحسبه ميتاً لا يشعر، نحن اذا كان جزء من المسلمون لا يريدون ان يؤمنوا بالغيب وقد مدح الله عز وجل الذين يؤمنون بالغيب في اول البقرة ﴿ألم ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ فهم - المعرضين- أشبه بماديين المسلمين إذا صح التعبير، لا يؤمنون بما لا تراه أعينهم؛ لقد كان رسول الله يحدث الأموات مرة فقال عمر وهل يسمعون فقال رسول الله ﷺ ما أنت باسمع منهم كما جاء في كتب السنة، فما بالك برسول الله وأهل بيته، فنحن نزورهم ونكلمهم وهم لا شك يسمعون ويردون السلام ويتهمون الشيعة بالكفر؛ لأنهم بنوا الأضرحة

(١) سورة آل عمران: ١٦٩.

على قبور الأئمة والصالحين بينما هذا العمل موجود عند السنة ومنذ زمن بعيد ونعد منهم.

١- قبر أبي حنيفة ببغداد بناء ضخم وعلية قبة.

٢- قبر أبي هريرة بمصر، مزار له بناء وقبة.

٣- قبر النبي إبراهيمعليه السلام في الأردن مع جماعة الأنبياء بمدينة الخليل لها أضرحة وعليها قباب....الخ.

وإنما الشيعة قدست هذه القبور؛ لأنها رموز إسلامية وأصحابها كانوا أصحاب تضحيات عظيمة لله، وان تعظيمهم تعظيماً لله فكما نعظم بيت الله لله نعظم ولي الله لله ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ فليفهم أولو الألباب!! أيهما اقرب للشرك من وجهة نظر هذه الفئة المعترضة تعظيم حجارة الكعبة وهي بيت الله أم تعظيم رسول الله وهو ولي الله ورسول منه.

فان أرادوا اتهام المسلمين بالشرك من وجهة نظرهم فليتهموا كل المسلمين بالشرك؛ لأنهم يعظمون حجارة بيت الله والعياذ بالله وإذا قبل أحد قبراً قالوا انه يشرك.

إذن فمن قبل ابنه فهو مشرك، ومن قبل ارض بلاده حباً لها فهو مشرك، من اين جاءوا بأن التقبيل شرك؟ ما لهؤلاء كيف يحكمون؟ اذا طلب احد من النبي شفاعة صار مشركاً اذن لماذا تركوا المتسولين يجوبون الشوارع وهم يشركون؟

أليس هؤلاء يمدون أيديهم للناس ويطلبون منهم، فالأحرى أن يرموا هؤلاء بالشرك والكفر ويُفتون بجواز قتلهم، قولوا لهم ادعوا الله ولا تدعوا

الناس. والدعاء هو طلب، لقد سمعت مرة بإذني ابن باز يقول الاستعانة بالأحياء جائز والاستعانة بالأموات شرك لماذا؟ لماذا؟

فإذا كانت الاستعانة بغير الله شرك فهي شرك سواءً أكانت من حي أو ميت بشرط ان يعتقد بهم انهم يعينون مستقلين عن قدرة الله، وهي غير شرك إذا اعتقدت بان عونهم من الله. الميت يعينني بما أعطاه الله والميت المقتدر مثل النبي أو الولي يعينني بشفاعته بما أعطاه الله من منزلة وقدرة، قل كل من عند الله وهذا ما تفعله الشيعة والسنة عدا الفئة المتعصبة وإن المهم هو الاعتقاد بأن كل شيء بيد الله، ولا أحد يعتقد غير ذلك وهذه أسباب بيد الله ولكن فئة ضالة أخذت تتخبط في نسبة الكفر إلى فرق المسلمين فإذا لم تجد شيعة ترميهم بذلك فأنها تعمد إلى باقي فرق المسلمين وتلصق بهم نفس هذه الخزعبلات كما في مصر والمغرب العربي ... وغيرها انهم يوزعون الشرك بالمجان كما تهوى أنفسهم فإذا سمعوا باسم عبد الحسين أو عبد الرسول قالوا شرك والعياذ بالله.

وكأن الإسلام لم يشتمل في تاريخه على عبيداً لدى اغلب الصحابة فتجد في السيرة فلان عبد لفلان ولكنها غير العبودية لله، ثم ان هذه التسميات موجودة لدى السنة أيضاً فلماذا تستقبح عند الشيعة فقط.

أما اذا سمعوا شخصاً قال يا محمد أو يا علي فهنا الطامة الكبرى وهو الدليل الأكبر على شرك الشيعة وهم المخلدون في النار، انا سمعت مراراً أصدقاء من فلسطين وسوريا ينادون ويندبون (يا محمد) وهو أمر عادي إذا ناديت عبداً صالحاً يعينك في شفاعة عند الله كما نطلب من أصدقائنا

العاديين ونترجاهم (ارجوك يا اخي ادع لي) بينما قال الله ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[1] ومن احسن من رسول الله واهل بيته للدعاء، نجعلهم شفعاء لنا، إن مبدأ الشفاعة جعله الله لنا؛ لنعرف قيمة الشفيع والا لماذا مبدأ الشفاعة هل يحتاج الله ليأخذ المعرفة من احد وهو العليم جل وعلا الله هو الذي اقر وشرع لنا الشفاعة وهو القادر على معرفة الناس ومجازاتهم بلا شفاعة وقد يقول قائل جاهل ان الشيعة تعتقد بالامام علي اكثر من رسول الله؟

والجواب ان الشيعة لم تعرف قدر الإمام علي إلاّ من الرسول ونحب الإمام علي لأجل الرسول وكلامه فيه ولكن التركيز عليه (أي على الإمام علي) كي نبين فضله مقابل من أنكروا فضله وشتموه وسبوه ولعنوه على ٧٠ الف منبر ٨٠ سنة حتى ان معاوية كان يلعن علياً في قنوته ومقابل من ينكرون فضله ومكانته عند الله، نحن نذكر ونبين فضله ونحن نعتقد بان رسول الله سيد الخلق وهو عبد لله فكيف بأهل بيته ومن يريد ان يعرف توحيد الشيعة فعلية بقراءة كتب أدعيتهم مثل مفاتيح الجنان وسأنقل جزءاً من دعاء كمثال في صفحة ٢٢٩ من الطبعات الأخيرة تجد هذا الدعاء من أدعية شهر رمضان:

«اللهم اني بك ومنك اطلب حاجتي ومن طلب حاجة إلى الناس فإني لا اطلب حاجتي إلا منك وحدك لا شريك لك ...الخ».

---

(١) سورة غافر: ٦٠.

فإذا طلب احد المؤمنين من النبي عيسىعليه السلام ان يحيي ميت له فانه يطلب حاجته من الله وعيسىعليه السلام إنما هو سبب وهو يحيي الموتى باذن الله ورسول الله محمدصلى الله عليه وآله يقضي حاجة من يريد ان يقضي حاجته باذن الله حياً كان أو ميتاً وكذلك كل ذي مقام عند الله قد خصه الله بكرامة.

وكل ما ذكرته حول الشبهات والرد عليها ما هي إلا رؤوس نقاط وعلى من يريد الاستزادة ان يبحث ويدقق وخصوصاً في موضوع أهل البيت (سفينة النجاة)، فليراجع المصادر المتخصصة في ذلك وأخص بالذكر كتابين أساسين: (فضائل الخمسة من الصحاح الستة) و(المراجعات).

منزلة أبي طالب عند أهل البيتعليهم السلام

في بحثنا الأساسي حول أبي طالبعليه السلام سمعنا رأي المخالفين لأبي طالب وهي فئة قريبة للحكام في تلك الفترة ومستفيدة من السلطة آنذاك وهي فئة لم تكن ممن امرنا الله بالأخذ منها، ولهم دوافعهم الخاصة بهم فإذا شك محقق واشتبه في جريمة ما فانه يبحث عن (دوافع الجريمة) أولاً فان وجد دوافع زاد شكه واستمر في البحث وشك اكثر، حتى يصل للحقيقة، وهكذا في من اتهم أبا طالب بالكفر له دافعه، وأول دافع وأهمه هو الانتقاص من مقام عليعليه السلام بأبيه.

لنبحث عن رأي أناس ليس لهم دافع إلا الله وما يريد ومن هم غير

أهـل البيت الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً؟ فأهل البيت هم الفـئة الطاهـرة التـي اوصـانا رسول الله باتباعها وهم سفن النجاة من الهلكات وهـم الـثقل الثانـي للقـرآن وهـم ضمان عدم الضلال «لن تضلوا بعدي ابداً» فما هو رأيهم في أبي طالب حول قضية اسلامه.

ماذا يقول أهل بيت النبي عليه السلام في أبي طالب عليه السلام

ان لمن المحزن ان لا نسمع ذكر أبي طالب إلا وتسمع أنه في النار!! لماذا التركيز على هذه النقطة؟

هي انك تسمع تفصيل عذابه في النار امعاناً في الوصف وتأكيد العذاب (انه والعياذ بالله منتعلاً نعلين من نار يغلي منها دماغه) انا لله وانا إليه راجعون ولم نسمع بقاتل الحسين ماذا يلبس في النار؟ وماذا يغلي منه؟ بل نسمع احياناً انه مظلوم تائب يا للسخرية!

لماذا؟ لماذا تذكرون أبا طالب ما دمتم تريدون ذكر عذاباته في النار؟ اتركوا ذكره افضل، لا تمدحوه ثم تجعلوه في النار، قد يردون عليك انها العبرة حتى نعرف ان من كفر مهما عمل للدين فهو في النار، لمن تريدون ان تعطوا النصيحة والعبرة؟ هل تخافون ان يأتي شخص يضحي بكل ما يملك للدين، حياته، وعياله، وماله، ثم يكفر وتريدون ان يأخذ العبرة لماذا لا نسمع في الاذاعات ان علياً سبوه على المنابر على مدى (٧٠) سنة وسبه كان شرطاً لقبول صلاة الجماعة لماذا لا نسمع ذلك؟ وما جزاء من سبه وهو يعرف منزلته من رسول الله؟ ومن الله وما هو جزاؤهم؟ لا لا هذا يولد الفتنة!!

وذكر مكان أبي طالب في نار جهنم هو الذي يولد الألفة والمحبة

والموعظة؟ يا للعجب من هذه المقاييس هل سمعتم مرة بان من مدح (ابن ملجم قاتل علي) من رجال الحديث وينقل عنه البخاري ويعتبره من الثقات في صحة ما ينقل!! هذا لا احد يسمعه لكن الكل يسمع ان أبا طالب في النار.

أنت أيها القارئ افترض جدلاً ان ملكاً من الملائكة قال لك اختر أحد المكانين في الآخرة ليس لهما ثالث، الجنة أم النار، وأبو طالب في أحدهما ولن يسمح لك إلا أن تقول (مع أبي طالب أو الجانب الآخر الذي ليس فيه أبو طالب وفيه أبو سفيان ويزيد ومعاوية) فهل ستختار الجانب الذي ليس فيه أبو طالب وفيه أبو سفيان ومعاوية ويزيد؟ فإذا كان أبو طالب يتربع في الجنة مع ابن أخيه رسول الله فأين ستكون وليس لك أي اختيار ثالث؟ أقول هو فرض.

فكما قال الله لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا، وهو فرض محال لكن الله فرضه لإثبات الدليل افترض ذلك لتقرب قلبك إلى الحقيقة.

تخيل الفرق بين الشخص الذي يسلم عندما ينهزم الكفار مساء يوم الفتح وعلى مضض وقد حاول جاهداً قتل الرسول حتى الرمق الاخير وبين أبي طالب الذي يتخلى عن كل شيء ماله وعياله ومكانته عن زعامته في قريش ومكانته في الجزيرة كلها ويصبح تابعاً لرجل مستضعف لا يمثل رقماً مهماً في معادلة قريش آنذاك، يؤازره في اشد أيام محنته وضعفه إمام الأعداء الأقوياء هل لك ان تعرف الفرق؟!

وإن عجزت فراستك عن معرفة الحقيقة فلنستمع إلى آل بيت الرسول صلى الله عليه وآله ماذا يقولون في أبي طالب عليه السلام.

الإمام زين العابدين:

الإمام السجاد علي بن الحسين الشهيد، زين العابدين وقرة عين الناظرين الإمام المفترض الطاعة بعد قتل الحسين عليه السلام.

فقد وصل إلى سمعه سؤال جارح ظالم حول أبي طالب هل انه مات كافراً فيجيب الإمام بكل حرقة والم «وا عجباه كل العجب!! ايطعنون على أبي طالب؟ أو على رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد نهاه الله تعالى ان يقر مؤمنه مع كافر في غير آية من القرآن؟! ولا يشك احد ان فاطمة بنت اسد رضي الله عنها من المؤمنات السابقات فانها لم تزل تحت أبي طالب حتى مات أبو طالب، رضي الله عنه»[1].

يقول الإمام السجاد ان رسول الله اكبر من ان يدع فاطمة بنت اسد المؤمة التي ربته تحت ظل رجل كافر وان كان عمه بعدما نهى الله عن ذلك فهذا اتهام لرسول الله بالمحاباة بالدرجة الأولى وهو الباطل بعينه.

الإمام الباقر:

أما الإمام محمد الباقر بن علي بن الحسين الشهيد عليه السلام فيقول في أبي طالب قولاً ليس كثيراً عليه فهو الذي حمى الدين كله ولولاه لما قام الدين قائما ففضله على كل المسلمين وعلى كاهله انتشر الإسلام ووصل للمسلمين كافة فكل خير يصلنا من الدين له فيه نصيب من الأجر.

---

(١) الحجة: ٢٤، ونهج البلاغة، شرح أبي الحديد: ج٣، ص٣١٢، و شيخ الابطح ص٧٦، والغدير ص٣٨١.

فيقول ابن السجاد الباقرعليه السلام، «لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان، وإيمان هذا الخلق في الكفة الأخرى، لرجح إيمانه».

ومن الواضح أن محمداً وآله مستثنون من الناس في هذه الراوية.

وقال الباقرعليه السلام«ألم تعلموا أن أمير المؤمنين علياًعليه السلام كان يأمر أن يحج عن عبد الله - والد النبي- وآمنة - أم النبي- و أبي طالب في حياته - أي في حياة عليعليه السلام- ثم أوصى في وصيته بالحج عنهم»[(١)].

الإمام علي:

والإمام عليعليه السلام ها هو يصرح -وهو باب مدينة علم الرسول- بإيمان أبي طالب بشكل قاطع، فلا يصح ان يحج نيابة عنه أو يأمر بان يُحج نيابة عن كافر.

وهنا تجد الإشارة إلى موضوع مهم وهو ان البعض يعتبر ان والد ووالدة النبي كافران والعياذ بالله وانهما ماتا كافرين وهما في النار؛ لأنهما لم يسلما.

إذن والعياذ بالله والعياذ بالله، ولا استطيع ان اقولها، ولكن اتساءل ما هو حكم رسول الله قبل ان يبعث نبياً؟

أليس الحنيفية السمحاء كانت قبل البعثة المحمدية؟ ولكنه لا اعلم كيف يحلو للبعض ان ينسب الكفر لعائلة النبيصلى الله عليه وآله (ابوه وامه وعمه).

أما على مذهب أهل البيتعليهم السلام فان كل آباء النبي حتى آدم هم

---

(١) نهج البلاغة: ج٣، ص٣١١، وشيخ الابطح ص٣٣ن والغدير.

موحدون مؤمنون وكذلك آباء وصي النبي كعلي عليه السلام.

أما ابراهيم عليه السلام وقصة ابيه؛ فانه ليس والده الذي ولده ولكنه عمه (أي اخ والده) وكان يسميه بالابوة احتراماً له. (أو زوج أمه).

الإمام الصادق:

أما الإمام جعفر الصادق عليه السلام، (جعفر بن محمد بن زين العابدين بن الحسين عليه السلام) وهو الإمام الذي قال عنه أبو حنيفة النعمان عندما درس الفقه عنده لو لا السنتان لهلك النعمان وكان يدرس عنده اربعة آلاف تلميذ في مختلف العلوم ومنهم جابر بن حيان والحسن البصري وكانت علومه عليه السلام من التشعب والعمق بحيث تجد ان مجموعة من علماء الغرب في شتى المجالات وضعوا كتاباً حديثاً ترجم إلى العربية واسمه (الامام الصادق كما عرفه علماء الغرب) ومحتواه في مجالات العلوم المختلفة من رياضيات وفلك وطب وكيمياء...الخ كتبه اكثر من ٢٠ عالماً من الجامعات الامريكية والاوربية وغيرها.

اذا اردت ان تعرف جزءاً يسيراً من علوم رسول الله التي وصلت عند أهل البيت فاطلع على هذا الكتاب لتعرف كيف توارث أهل البيت علوم الرسول واحداً بعد آخر ولنعرف ان الحضارة الغربية إنما علت من علوم رسول الله التي عند الإمام الصادق عليه السلام وقد برزت بعض تلك العلوم في فترة سياسية هادئة نسبياً والتي استغلها الإمام الصادق عليه السلام في بداية زمن العباسيين ونهاية زمن الامويين.

ماذا يقول الإمام جعفر الصادق عليه السلام في حق أبي طالب، سأله سائل:

(ان الناس يقولون ان أبا طالب في ضحضاح من نار؟)

فأجاب الإمام بحرقة: «كذبوا، ما بهذا نزل جبرئيل».

ثم قال: «ان مثل أبي طالب مثل أصحاب الكهف اسروا الإيمان واظهروا الشرك، فآتاه الله أجره مرتين، وما خرج من الدنيا حتى أتته البشارة من الله تعالى بالجنة».

ثم قال: «كيف يصفونه بهذا؟! وقد نزل جبرئيل، ليلة مات أبو طالب فقال يا محمد، اخرج من مكة، فما لك بها ناصر بعد أبي طالب»[١].

((ان الذي يكتم إيمانه شخص يمارس دوراً رسالياً وعملاً يستدعى التخفي مع ما في ذلك من جهد ومشقة وهكذا كان دور أبي طالب في الرسالة، وقد ذكر القرآن مراراً من يكتم إيمانه بالأهمية)).

وهنا اسأل ماذا كان دور أولئك الذين يشنعون على أبي طالب في الدين؟ ماذا عملوا لنصرته؟ أجيبوا يا أولي الألباب؟!

ويدور مرة حديث بين الإمام الصادق ويونس ابن نباتة يسأله الإمام: يا يونس ما يقول الناس في أبي طالب؟

قال: هو في ضحضاح من نار يغلي منها رأسه!

فيجيب الإمام بيقين كامل: كذب أعداء الله! أن أبا طالب من رفقاء النبيين، والصديقين، والشهداء والصالحين، وحسن اولئك رفيقا[٢].

---

(١) نهج البلاغة: ج٣، ص٣١٢، والغدير ص٣٨١، ومعجم القبور، ج١ ص١٩١.

(٢) شيخ الابطح والغدير مسند إلى كنز الفوائد وضياء العالمين.

ومرة يسأله آخر انهم يزعمون ان أبا طالب كان كافراً.

فقال: كذبوا! كيف وهو يقول:

ألم تعلموا انا وجدنا محمداً نبياً كموسى خط في أول الكتب

ومرة أخرى يقول الإمام الصادق: كيف يكون أبو طالب كافراً وهو يقول:

لقد علموا أن ابننا لا مكذّب لدينا ولا يعبأ بقول الاباطيل

وابيض يُستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

كما جاء في الأغاني لأبي فرج الأصفهاني ومصادر أخرى ويحدث الإمام الصادقعليه السلام «كان أمير المؤمنينعليه السلام يعجبه أن يروي شعر أبي طالبعليه السلام وان يدونه وقال: تعلموه وعلموه أولادكم؛ فانه كان على دين الله وفيه علم كثير» وهذا الحديث لا يحتاج إلى مصدر ولا إلى شرح، فقط خذ ديوان أبي طالب وانظر واقرأ وسترى ما يقصده الإمام عليعليه السلام واقرأ شرح ديوان أبي طالب للخطيب محمد خليل في كتاب (غاية المطالب في شرح ديوان أبي طالب) طباعة مطبعة الشعراوي طنطا القاهرة سنة ١٩٥٠، وهو أحد شروحات ديوان أبي طالب وانا لم اقرأه بل سمعت عنه، وسألت عنه في أحد معارض الكتاب - بإحدى دول الخليج- قسم القاهرة فقال: منعوا كل ما يحمل اسم أبو طالب.

إنصاف عالم سني

وهنا أتذكر كلاماً لاحد العلماء السنة وهو الذي انصف أبا طالب من

المعاصرين حسب علمي القاصر ومما سمعته بنفسي في احدى القنوات الفضائية، عندما قال: (أن أبا طالب في نظري مات مؤمناً ولم يتكلم كثيراً فقط قال للمتكلم معه عبر الهاتف (اقرأ ديوانه)) وهذا العالم السعودي من علماء الرياض وهو حسن فرحان المالكي في برنامج حوار من الداخل الذي تبثه تلك القناة الفضائية وكان ذلك في ٢٩/٣/٢٠٠٨ ويشكر على هذا الأنصاف والشجاعة الأدبية وقال عن الحديث أن أبا طالب في النار حديث موضوع واسأل الله أن يهديه للخير دائماً ابداً وان يجعل هذه الشهادة منه في ميزان حسناته وأناله الله شفاعة المصطفى أن شاء الله.

الإمام الرضا:

ولنسمع ماذا يقول الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام (علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن زين العابدين بن الحسين الشهيد):

كتب أبان بن محمود إلى الإمام الرضا عليه السلام «جعلت فداك اني قد شككت في إسلام أبي طالب».

فأجابه الإمام الرضا عليه السلام إذ كتب له: **﴿وَمَنْ يُشَاقِقْ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾**[1] وبعدها انك ان لم تقر بإيمان أبي طالب، كان مصيرك إلى النار.

وعن الإمام الحسن بن علي بن الجواد ابن الرضا العسكري عليه السلام يقول

(١) النساء: ١١٥، جاء في الغدير ٣٨١، النهج، ٣/٣١١.

في حديث طويل بسنده عن آبائه الأطهار عليهم السلام أن الله تبارك وتعالى أوصى إلى رسوله صلى الله عليه وآله في حديث قدسي إني قد أيدتك بشيعتين، شيعة تنصرك سراً، وشيعة تنصرك علانية.

فأما التي تنصرك سراً فسيدهم وأفضلهم: عمك أبو طالب، وأما التي تنصرك علانية فسيدهم وأفضلهم ابنه علي بن أبي طالب عليه السلام.

ثم قال: [وإن أبا طالب كمؤمن آل فرعون يكتم إيمانه][1].

الله جل وعلا هو الذي نصر رسوله صلى الله عليه وآله وأيده ولكن بمن نصره؟ نصره بجدار حصين وسد منيع وبجبل أشم يستند إليه النبي صلى الله عليه وآله وينطلق بقوة وهو أبو طالب! فهل يختار الله لرسول عابد صنم ومن هو خالد في نار جهنم؟؟

معاذ الله وحاشاه جل وعلا، بل يختار له النور الأبلج الطهر المقدس الذي ما يسمع الإنسان المؤمن بما عمله حتى تهفو له النفس حباً وتقديساً.

نعم، هو النور الذي أختاره الله لحبيبه ويخرج من نسله نور آخر هو علي ابن أبي طالب عليه السلام فيكون الله جل وعلا قد أختار لحبيبه أطهر الطاهرين لنصرته وهذا ما يدركه كل مؤمن منصف عندما يطلع على السيرة النبوية المقدسة.

(أننا نظلم أبا طالب عليه السلام عندما نقول أنه مات مسلما!! هكذا مات مسلماً كم من الفسقة والمجرمين والعصاة والظلمة ماتوا مسلمين!! إن أبا طالب في القمة عظيم من العظماء به نصر الله

---

(١) الحجة ١١٥، الغدير ص٢٩٦، ج٣.

رسوله) كم من المسلمين لا خير فيهم ﴿قَالَتْ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾[١] ﴿أَفَإِيْن مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً﴾[٢].

لا يا رسول الله فناصرك العظيم عمك العظيم أبو طالب، قمة الإيمان وقمة التقوى وقمة الطهارة، وقمة الجهاد ولا نقول كما ما يقول الجاحدون المنكرون لفضله، فقد أعطانا الله العقل والتفكير الذي عرفنا به الله وعرفناك، وعرفنا به عمك العظيم أبو طالب.

قول ابن عباس

فهذا ابن عباس يسأله رجل: يا ابن عم رسول الله أخبرني عن أبي طالب هل كان مسلماً؟ فيجيبه باستغراب وكيف لم يكن مسلماً!! وهو القائل:

وقد علموا أن ابننا لا مكذب لدينا ولا يعبأ بقول الأباطيل

إن أبا طالب كان مثله كمثل أهل أصحاب الكهف حين أسروا الإيمان وأظهروا الشرك فآتاهم الله أجرهم مرتين[٣].

---

(١) سورة الحجرات: ١٤.

(٢) سورة آل عمران: ١٤٤.

(٣) الحجة ١١٥/٩٤، الغدير: ج٣، ص٣٩٧.

قول أبو ذر

وهـذا الصـحابي الجليـل العظـيم الـذي لا يخـاف ولا يهـادن (أبـو ذر الغفـاري) رضـوان الله علـيه، يقسـم بأعلـى صـوته فـي وجـه الـباطل وفي عقول البسطاء (والله الذي لا إله إلا هو ما مات أبو طالب رضي الله عنه حتى أسلم)[١].

(١) الغدير: ج٣، ص٣٩٩ عن أبو طالب مؤمن قريش للخنيزي.

وقفة مع العقل

كم مدح الله العقل في القرآن ومدح من يستخدمه ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[1]. وكم ذم من لا يستخدم عقله.

﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أم عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[2].

﴿إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾[3].

وآيات كثيرة جداً.

وجاء في الحديث ما معناه: أن الله أول ما خلق العقل فقال له: أقبل فأقبل، قال له أدبر فأدبر، فقال: وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً أحب إلي منك بك أثيب وبك أعاقب.

لماذا هذا التركيز على العقل؟؟

لأن العقل هو وسيلتنا لمعرفة الحق ومعرفة الله ومعرفة كل الحقائق ومعرفة الخير ومعرفة الشر ومعرفة المعقول فإذا قلت عن شيء أنه معقول أي يطابق العقل.

---

(١) سورة آل عمران: ١٩١.

(٢) سورة محمد: ٢٤.

(٣) سورة الفرقان: ٤٤.

فليكن لدينا هنا في خاتمة الطريق وقفة مع عقولنا ولنتعامل معها بشفافية فلا يمكن أن تخوننا عقولنا إلا إذا تعصبنا للنفس والهوى فإن النفس أمارة بالسوء والهوى عدو مهلك فقد قال الإمام علي عليه السلام: «إن أخوف ما أخاف عليكم اثنان: اتباع الهوى وطول الأمل، فأما اتباع الهوى فيصد عن الحق وأما طول الأمل فيثني عن الآخرة»[١].

وشاهدنا عن الهوى فهو الذي يصد عن الحق.

والعقل يقودنا للحق.

وإذا أردنا أن يكون لهذه الوقفة مع الحق ثمار يانعة نقطفها فعلينا تصفية الذات من أدرانها وهواها، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾[٢]. وقال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾[٣].

فإذا رأينا حقاً أننا تخلصنا من أدران الهوى عندها فلنجلس مع عقولنا جلسة.

آه، علنا نصل إلى ما ينفع، ولكي يجدي الموضوع فسوف نجعل ذلك الحوار مع العقل محدداً بنقاط محددة لنسيطر على الموضوع من جوانب محددة بخصوص أبي طالب وسنصل بعقولنا إن شاء الله إلى إدراك

---

(١) مستدرك الوسائل، ج٢، ص١٠٧.

(٢) سورة النازعات: ٤٠- ٤١.

(٣) سورة الفرقان: ٤٣.

مدى مظلومية هذا البطل العملاق حبيب رسول الله صلى الله عليه وآله وذلك يتم عبر عدة نقاط هي عبارة عن وقفات بين العقل والذات.

وقفات بين العقل والذات

١ـ موقف العارف:

بعد أن عرفناﷺ من خلال سيرة النبيﷺ وكيف أن أبا طالب عايش النبيﷺ منذ صغره وأدرك عظمة هذا النبي الأكرمﷺ من خلال تربيته له وقربه منه لحظة بلحظة وعلى مدى أربعين سنة وأبو طالب ليس ذلك الإنسان العادي فهو العاقل الحكيم الكريم العالم سيد قومه! فإدراكه للنبي غير إدراك الآخرين فلو كنت أنت مكان أبي طالب فهل كنت ستخالف النبيﷺ في أمر؟

لو قدر لأي شخص عادي هذا الموقف ماذا سيكون موقفك لو كنت أنت مكانه؟ ماذا سيكون حالك وموقفك من النبي؟ تصدّق - أم تجحد؟

٢ـ رؤية المعجزات:

م يقتصر الأمر على إدراك النبيﷺ وإدراك عظمته، بل أن أبا طالب قد رأى المعجزات الواضحات بأم عينه والتي مر ذكرها كسير الغمام مع النبيﷺ وإثمار الأشجار وإدرار اللبن من الشاة ... وغيرها من المعاجز والدلالات الواضحات من العلماء السابقين والرهبان، فما يكون موقفه بعد كل هذه البينات هل من الممكن أن لا يدركها أبو طالبؑ ماذا سيكون

موقف أي شخص آخر متوسط العقل والأدراك؟

ماذا سيكون موقفك أنت لو كنت مكانه؟

٣ـ ذم الكافرين:

لقد ذم الله تعالى الكافرين في القرآن ذماً لاذعاً ولعنهم لعناً كثيراً في آيات عديدة من بداية القرآن إلى آخره، إذ قال تعالى: ﴿**إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً**﴾.

وقال تعالى في ذم أخيه أبو لهب لكفره ومن على شاكلته.

قال تعالى: ﴿**تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ**﴾[١].

وقال تعالى: ﴿**سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ**﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿ **أَلاَ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ**﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿**لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ**﴾[٤].

أبعد كل هذا الذم والتقريع والاستهزاء بهم من قبل الله يرضى هذا العالم العاقل الذي عاش النبوة أن يكون منهم؟ ماذا لو كنت أنت مكانه؟

---

(١) سورة المسد: ١.

(٢) سورة القلم: ١٦.

(٣) سورة هود: ١٨.

(٤) سورة العلق: ١٥.

٤ـ عاقبة الكافرين:

لقد توعد الله الكافرين بالعذاب الشديد الذي لا يحتمله إنسان، فقد قال تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنْ النَّارِ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقاً وَهِيَ تَفُورُ﴾[٣].

آيات عن العذاب ووصف العذاب والجحيم ﴿فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ﴾[٤].

ماذا تتوقع أيها العاقل أن يكون موقف أبي طالب مع هذا الوعيد بنار جهنم للكافرين؟ ماذا سيكون موقف أي إنسان عاقل؟ وماذا لو كنت أنت مكان أبي طالب؟

٥ـ خطورة القرار:

عدم قبول الله لأي مواقف وسطية في الحق، وإذ يقول تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنْ الْخَاسِرِينَ﴾[٥].

---

(١) سورة النساء: ٥٦.

(٢) سورة النساء: ١٤٥.

(٣) سورة الملك: ٧.

(٤) سورة الحاقة: ٣٢.

(٥) سورة آل عمران: ٨٥.

ويقول تعالى: ﴿لاَ تُشْرِكْ باللَّه إنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظيمٌ﴾[(١)].

ويقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ به وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلكَ لمَنْ يَشَاءُ﴾[(٢)].

وآيات أخرى في هذا السياق، فماذا سيكون موقف أي شخص عاش حياة أبي طالب بعد سماع هذه الآيات؟

وماذا سيكون موقفك أنك لو كنت مكانه؟

٦ـ التضحيات والثمن:

إن كل إنسان يعيش في هذه الحياة يسعى للعيش الكريم فيجد له رزقاً ويكون عائلة ويربي أولاداً صالحين ولا يمكن أن يفرط بهذه المكتسبات أبداً ومستعد أن يحارب من أجلها بروحه وغير مستعد أن يساوم عليها مهما حدث ومهما كان المقابل؛ لأن المال والبنين زينة الحياة الدنيا، لكن إذا رأينا إنساناً قد ضحى بمكتسبات حياته من مال وبنين وحياة مستقرة فلابد أن يضحي بذلك من أجل مبدأ، فكيف تعامل أبو طالب مع هذه المكتسبات من حياته الاجتماعية وماله وعياله، وقد مر علينا كيف ضحى بأبنائه علي عليه السلام وجعفر وكان يضع بنفسه ابنه علي عليه السلام مكان رسول الله في الشعب وكم عانى من الجوع حتى أهلكه في شعب أبي طالب، والجهاد والمواجهة الحامية الدامية ... الخ.

---

(١) سورة لقمان: ١٣.

(٢) سورة النساء: ٤٨.

فممـا مر ذكر سابقاً، أيعقل أن يضحي أبو طالب بكل ما هو غال عنده هكـذا، فـلا يعقـل أبـداً إلا وهـو سيد المؤمنين بهذا الدين. فهل الباعث شيئاً آخر غير الإيمان؟ ماذا لو كنت أنت مكانه؟

٧ـ الخشية على المكاسب:

مـن الطبيعـي أن نـرى بعـض الكافـرين يصـرون علـى كفـرهـم؛ لأن الإيمان يسلبهم بعض المصالح الدنيوية، مثل جبابرة قريش إذ كان سيسلبهم الإيمـان السـلطة السياسـية والمـنافع الاقتصـادية المتـرتبة على استمرار عبادة الأصنام ودوام الشرك.

لكن ما تقول في شخص لا تهمه هذه المصالح الدنيوية؟ بل تراه على العكـس يضـحي بهـا مـن أجـل الدعـوة والرسـالة المحمديـة فلـيس لديه ما يخشـاه إذا آمـن بل على العكس مستعد أن يبذل كل ما لديه في سبيل هذه الدعوة.

أيعقـل أن يكـون شـخص مـثل أبـي طالـب ولا يكـون أول الملبـين للرسـالة السـماوية؟ وهـو لـن يخشـى علـى شيء، بل قدم كل شيء، ماذا لو كان أي شخص عادي مكانه؟

ماذا لو كنت أنت مكانه؟

ويشـير القـرآن إلـى هـذا المعنى في ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْـوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَـادَهَا وَمَسَـاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي

سَبيله﴾[١]، إذ يشير إلى الموانع التي تمنع الإنسان من الجهاد والتضحية وهي أشياء قدمها أبو طالب كلها في سبيل الله عز وجل وبكل فخر واعتزاز.

٨ـ الفطنة والخسارة:

يعرض لنا القرآن نماذج من الكفار استمر كفرهم حتى الساعات الأخيرة لخبث سريرتهم وعدم إيمانهم وضعف يقينهم بالله مثل فرعون، إذ نراه يعلن أوبته وإيمانه عندما رأى نفسه خسر ولكن الله لم يقبل منه.

﴿آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ * فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾[٢]. ﴿قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ﴾.

وكذلك قارون، عندما رأى نفسه قد خسر كل شيء استنجد بموسى، بينما نجد الظلم الشنيع يقع على أبي طالب بحيث يتهمونه بأنه حتى في ساعاته الأخيرة وفي مرض الموت لم يستجب للحق والعياذ بالله. **فالإنسان إذا لم يؤمن لسبب معين فهذه الأسباب لن تبقى عند الموت فلماذا الكفر والعناد.**

أيعقل هذا أيها المؤمنون؟ هل تعقلها أنت، إنا لله وإنا إليه راجعون.

٩ـ معدن أبو طالب:

شخص عابد صنم لعنه الله وطرده من رحمته ومصر على الكفر ورغم

---

(١) سورة التوبة: ٢٤.

(٢) سورة يونس: ٩١-٩٢.

أنه رأى كل معجزات النبي بأم عينه وعرف كل الحقائق إلا أنه مصر على الكفر فهل ترجو من ذلك الشخص خيراً؟ كيف يتركه النبي إلى جانبه وفي خندقه؟ المجرمون القاتلون السفاحون المعاندون في الكفر الذين ضربوا رسول الله وعذبوا المسلمين حتى الموت وكادوا يقتلون النبي بعد أن أدموه، كل هؤلاء قلوبهم تخشع لذكر الله وفيهم الخير والذي رأى كل معاجز النبي وكرامات وعاشره (٤٠) سنة، لا يخضع قلبه للإسلام، أيرجى من هذا الشخص خيرا؟؟ سيقولون لك ﴿إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاء﴾[١].

نعم، الهداية من الله لمن أحبهم النبي، وليس من النبي. وليس معنى الآية أن الله لن يهدي من يحبه النبي، كما أدعوا زوراً تفسيراً لهذه الآية.

من الذي يهديه الله أهناك شخص يستحق الهداية أكثر من شخص أحبه النبي حباً صادقاً وأحب النبي ودافع عنه، وكان رمزاً لكل معاني الخير في العالم ﴿وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾[٢] ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[٣].

---

(١) سورة القصص: ٥٦.

(٢) سورة المائدة: ١٠٨.

(٣) سورة الأنعام: ١٤٤.

١٠ـ ولاء النبي للمؤمنين:

لقد كان النبي وأبو طالب وابناؤه لحمة واحدة وكان رسول الله ﷺ في قمة الحب والولاء لعمه أبي طالب أيتناسب ذلك مع رسول الله في قوله تعالى في سورة التوبة ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنْ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الظَّالِمُونَ**﴾[1].

فهل تعقل أن يوالي رسول الله من أستحب الكفر على الإيمان؟ ويدخل في قائمة الظالمين والعياذ بالله، وهل يحابي رسول الله من أجل مصلحة الحماية، وهو المتوكل على الله الواثق به.

إن المقصود من (الولاء) في الآية السابقة الولاء الصادر من الأعماق فهذا حرام على المسلمين تجاه من استحب الكفر على الإيمان، بينما نجد أن رسول الله كان يحب عمه حباً شديداً وبكاه بحرقة في وفاته وسمى عام موته وموت خديجة بـ(عام الحزن)، فهل يوجد ولاء أكثر من هذا الولاء.

١١- أيهم أشد أجراماً: شخص عاش في البادية ولم يدرس ولم يتعلم أحكام الدين ولم يكن قريباً من العلم والثقافة وقام بجريمة سرقة مثلاً، أم شخص عاش في المدينة وهو جامعي وعاش بين المساجد ودرس العلم الديني ثم سرق فمن هو أشد جرماً؟

حتى أن الله شرع حداً لزنى المحصنة أشد من حد غير المحصن، هذا

---

(١) سورة التوبة: ٢٣.

هو العقل.

إذن فالقريب من النبوة الذي عرف وشاهد عياناً كل المعاجز والعلائم ثم يكفر بالله ويرفض الإيمان يكون أشد كفراً من ذلك البعيد الذي لم يسمع إلا بالقليل فينبغي أن يكون عذابه أشد من غيره وليس أخف كما يدعون زوراً وبهتاناً عن رسول الله ﷺ والعياذ بالله.

فأبو طالب حقاً له أن يكون أول المؤمنين، لا أنه يرفض الإيمان، ولو فعل والعياذ بالله فهو أشد بعداً عن الله من غيره! وهذا ما لم يكن أبداً.

١٢- إن أبا طالب مع وفي خندق النبي ﷺ والنبي يحارب المشركين والمشركين يحاربون جبهة ضد جبهة، والقضية التي بينهم ليست مالاً أو أرضاً، أو نهراً، بل القضية التي يحاربون من أجلها هي الدين والمبدأ والعقيدة فأبو طالب ليس جندياً بسيطاً في صفوف قوات النبي بل هو بمثابة وزير أو مستشار أو ما شابه ذلك بمصطلح اليوم والحرب قائمة لقضية مبدأية دين الله (الإسلام) التوحيد.

فكيف تتبنى هذه الشخصية التي تحارب مع الرسول ضد المشركين نفس الاعتقاد الذي يتبناه المشركون، أيُعقل أن يقاتل فرد جماعة على الشرك وهو مشرك، وكيف يتحرك لقتال المشركين لو لم يكن مؤمناً، فإن المحرك لقتال المشركين هو الإيمان، وكما لا يعقل أن شخصاً معتقداً بالشيوعية ويحاربها.

بعد أن نفينا عن أبي طالب عليه السلام كل ما يمكن أن يكون دافعاً لوقوفه مع النبي ﷺ من مكاسب سياسية واقتصادية واجتماعية لأنه كما أسلفنا

وضعها تحت قدمه؛ نصرةً للنبيﷺ والنبوة.

١٣- يقول الله عز وجل عن نفسه ﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾[١] ويقول عز وجل ﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ﴾[٢] فلو إن شخصاً ما يعيش في دولة بعيدة وذو مال وسلطة، وذهب ابنكم لتلك البلدة وهناك تعرض ابنكم لأخطار شديدة ولم يكن له مأوى ولا ناصر وصار له أعداء يتربصون به ليقتلوه وقام ذلك الشخص بحماية ابنكم وآواه ونصره وحماه من الأعداء بما يملك وخسر منصبه وبذل في ذلك ماله حتى صار فقيراً معوزاً، وتعرض للأذى هو وعائلته وُدمر كل كيانه الاجتماعي والمالي والوظيفي وتم ما أراد وضحى لأبنكم وأكرمه، وأعزه وأغناه ورتب كل أمور أمنه، ومعيشته وعلى حساب نفسه وعياله وعاد إليكم ابنكم معززاً مكرماً فما يكون شعوركم تجاه هذا الشخص المحسن لو شاهدته بعد فترة؟ أجب أنت في نفسك، ثم تابع القراءة.

نحن البشر هكذا، فكيف تكون رد الله تعالى الرحيم والذي يقول عن نفسه (شكور وشاكر) أي كثير الشكر.

كيف يكون رد الله عز وجل على كل ما عمله أبو طالبعليه السلام لرسول اللهﷺ.

ألا يستحق أن يهديه الله تعالى إلى الطريق المستقيم، وهو تعالى الذي

---

(١) سورة البقرة: ١٥٨.

(٢) سورة الرحمن: ٦٠.

يقول عن نفسه ﴿وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[١]، ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾[٢]، إذا لم يستحق أبو طالب هداية الله فمن يستحق الهداية؟

هل هناك شخص في كل الجزيرة العربية نصر رسول الله كأبي طالب وابنيه علي عليه السلام وجعفر عليه السلام.

الهداية الإلهية للجميع عدا الذين استبعدهم الله في الآية القرآنية وعلى سبيل المثال ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾[٣].

﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[٤].

﴿وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾[٥].

بينما تكون الهداية أقرب إلى ذوي النفوس السامية والسجايا الحميدة ومن يكون مصداقاً لها غير أبو طالب؟

عن صحيح الترمذي عن ابن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذوا النعل بالنعل».

---

(١) سورة إبراهيم: ٤.

(٢) سورة النور: ٣٥.

(٣) سورة غافر: ٢٨.

(٤) سورة الأحقاف: ١٠.

(٥) سورة الصف: ٥.

وفي رواية أخرى من الترمذي انهﷺ قال: «والذي نفسي بيده لتركبن سنن من كان قبلكم حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة... فلا أدري اتعبدون العجل أم لا».

وفي بعض التفاسير عن الآية ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾[1] أي حالاً بعد حال قال رسولﷺ لتركبن سنن من كان قبلكم حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة لا تخطئون طريقهم ولا يخطي شبر بشبر وذراع بذراع وباع بباع حتى ان لو كان قبلكم دخل جحر ضبٍ لدخلتموه.

قالوا: اليهود والنصارى تعني يارسول الله؟

قال: فمن اعني.

لتنقضنَّ عرى الإسلام عروة عروة فيكون أول ما تنقضون من دينكم الإمامة وآخره الصلاة[2].

---

(١) سورة الانشقاق: ١٩.

(٢) تفسير القمي: ص٧١٦ (منشورات ذوي القربى).

((خلاصة الأمر))

مؤمن آل فرعون

لقد عودنا القرآن العظيم عرض الحقائق الجلية منه خلال قصص مرت على اقوام سابقين وانبياء سابقين لتكون اقرب إلى الوضوح والادراك ونلاحظ بوضوح تركيزاً على قصص فرعون وتعامله مع نبي الله موسىعليه السلام وربما جاء هذا التركيز؛ لطغيان فرعون الشديد وخسارته في النهاية على يد نبي الله موسىعليه السلام.

ومن خلال دراما مشوقة ومثيرة مليئة بالعبر والمواعظ، وحتى في الروايات والأحاديث ان ما سيجري على المسلمين سيحاكي ما جرى على قوم موسى في الحديث عن رسول الله.

ونجد أن رسول اللهصلى الله عليه وآله أشار إلى مكانة الإمام عليعليه السلام من خلال مكانة هارون من موسى عندما قال له: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلاَّ انه لا نبي بعدي»[1].

وها هو القرآن العظيم يستعرض قصة تتصل بموضوعنا وكأنما قد

---

(١) الجمع بين الصحيحين: ج١، ص١٩٢، صحيح مسلم: ج٤، ص ١٨٧٠ سنن ابن ماجه: ج١، ص٤٥.

وضعت لأجل هذا الموضوع.

إذ يقول الله تعالى شأنه : ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ منْ آل فرْعَوْنَ يَكْتُمُ إيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بالْبَيِّنَات منْ رَبِّكُمْ وَإنْ يَكُ كَاذبًا فَعَلَيْه كَذبُهُ وَإنْ يَكُ صَادقًا يُصبْكُمْ بَعْضُ الَّذي يَعدُكُمْ إنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدي مَنْ هُوَ مُسْرفٌ كَذَّابٌ﴾[1].

فها هو القرآن يتكلم عن مبدأ الكتمان بشكل واضح وجلي ويستعرضه على انه مبدأ صحيح ومهم لمصلحة الدعوة والدعاة، وهذا مبدأ طبيعي وعادي فهذا رسول الله لم يأمر من البداية بالكشف عن إيمان اتباعه فكثير من الصحابة بقي اسلامهم طي الكتمان لفترات يكتم كل واحد منهم إيمانه لفترة من الزمن ثم ليظهره طبقاً للمصالح العامة.

وفي الآيات السابقة يوضح العلي القدير كيف ان مؤمن آل فرعون حزقيل وهو من قرابة فرعون وابن عمه في بعض الأحاديث كان مؤمناً وهذه النقطة مهمة فكونه مؤمناً أهّله ومكنه ان يكون في صف جبهة موسى من خلال كتم إيمانه ولذا استطاع ان يقوم بدور مهم يذكره القرآن إلى يوم القيامة فكونه يكتم إيمانه يجعله في مقام اكبر عند الله؛ لأنه سيمارس دوراً رسالياً جهادياً، سيدافع عن النبي والرسالة بفاعلية اكبر تماماً كما كان يفعل عم رسول الله أبو طالب عليه السلام.

فنجد حزقيل من خلال كتمان ايمانه قال اشياء لا يستطيع ان يقولها لو

---

(١) سورة غافر: ٢٨.

كان ايمانه ظاهراً.

دعنا نستعرض الحوار الذي يدور بين رجل مؤمن يكتم ايمانه مثل أبو طالب ومن الفئة الكافرة فرعون وقومه والذين هم بدورهم ككفار قريش، علنا ندرك بعض الحقائق المفيدة لبحثنا. ويتابع حزقيل قوله على لسان القرآن الكريم ﴿**يَاقَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الأرض فَمَنْ يَنصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ* وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَاقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الأَحْزَابِ**﴾[1].

أخي القارئ القرآن الكريم يركز على إيمان ذلك الشخص الذي أمن ويستطيع ان يمارس دوراً ارشادياً دفاعياً عن الدعوة من داخل عيان الكفر وهكذا كان يعمل أبو طالب إذ كان يدافع بكل ما استطاع عن رسول الله وعن الدعوة من خلال وجوده داخل كيان قريش الكافر ويحاول ان ينصحهم ويوضح الفكر التوحيدي قدر المستطاع علهم يهتدون؛ لانهم بكبريائهم لن يستطيعوا سماع النبي مباشرة ولكنهم قد يستطيعون سماع رجلا من اوساطهم وهذا ما كان يفعله أبو طالبعليه السلام.

ويتابع القرآن على لسان حزقيل توجيه الارشاد ﴿**مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ* وَيَاقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ* يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ**

(١) سورة الاحزاب:٢٩-٣٠.

اللَّـه منْ عَاصمٍ وَمَنْ يُضْلل اللَّهُ فَمَا لَهُ منْ هَاد* وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ منْ قَبْلُ بالْبَيِّنَات فَمَا زلْتُمْ في شَكٍّ ممَّا جَاءَكُمْ به حَتَّى إذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَـنْ يَـبْعَثَ اللَّـهُ مـنْ بَعْـده رَسُولاً كَذَلكَ يُضلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرفٌ مُـرْتَابٌ* الَّـذينَ يُجَادلُـونَ في آيَات اللَّه بغَيْر سُلْطَان أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عـنْدَ اللَّـه وَعـنْدَ الَّـذينَ آمَنُوا كَذَلكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْب مُتَكَبِّر جَـبَّار* وَقَـالَ فـرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْن لي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ* أَسْـبَابَ السَّـمَاوَات فَأَطَّلـعَ إلَى إلَه مُوسَى وَإنِّي لأَظُنُّهُ كَاذبًا وَكَذَلكَ زُيِّـنَ لفـرْعَوْنَ سُـوءُ عَمَله وَصُدَّ عَن السَّبيل وَمَا كَيْدُ فرْعَوْنَ إلاَّ في تَـبَاب *وَقَـالَ الَّذي آمَنَ يَاقَوْم اتَّبعُوني أَهْدكُمْ سَبيلَ الرَّشَاد * يَاقَوْم إنمـا هَـذه الْحَـيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإنَّ الآخرَةَ هيَ دَارُ الْقَرَار * مَنْ عَمل سَـيِّئَةً فَـلاَ يُجْـزَى إلاَّ مـثْلَهَا وَمَنْ عَملَ صَالحًا منْ ذَكَر أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُـؤْمنٌ فَأُوْلَئكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فيهَا بغَيْر حسَاب * وَيَاقَوْم مَا لـي أَدْعُـوكُمْ إلَى النَّجَاة وَتَدْعُونَني إلَى النَّار * تَدْعُونَني لأَكْفُرَ باللَّه وَأُشْركَ به مَا لَيْسَ لي به علْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إلَى الْعَزيز الْغَفَّار* لاَ جَرَمَ إنمـا تَدْعُونَنـي إلَيْه لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ في الدُّنْيَا وَلاَ في الآخرَة وَأَنَّ مَرَدَّنَا إلَـى اللَّه وَأَنَّ الْمُسْرفينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّار* فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَـوِّضُ أَمْـري إلَـى اللَّه إنَّ اللَّهَ بَصيرٌ بالْعبَاد* فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَات مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بآل فرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَاب﴾[1].

(١) سورة غافر: ٣١-٤٥.

انظر أخي القارئ كيف استطاع هذا الذي يكتم إيمانه وهو في نظر الناس كافراً من آل فرعون كيف استطاع ان يبلغ دين الله وبهذا الحجم والكيفية وان يدافع عن دين الله وعن موسى وبالتأكيد كان يعلم الخطط التي كان ينسجها فرعون ضد موسىعليه السلام وبالتالي كان الله يحميه بفعل حزقيل وهل كان يستطيع حزقيل ان يقوم بهذا العمل لو أعلن عن إيمانه وكان في صف المؤمنين وعندما يعرض لنا القرآن هذه القصة وكأسلوب للدعوة أي ان هذا هو الأسلوب الصحيح يجب ان يكون هناك دعاة مخفيون ومن داخل كيان العدو وقريبون من ذلك للدفاع عن صاحب الدعوة بكل ما أُوتوا من قوة ومن خلال مكانتهم في قومهم يستطيعون ان يذبوا عنه.

ليحاولوا طرح الفكر الإيماني بشكل آخر غير الشكل المباشر من صاحب الدعوة ليتسنى للكافرين التفكير بالأمر خارج ضوضاء كبرياء النفس.

فإذا كان هذا الأسلوب يعرضه الله كأسلوب صحيح للدعوة فأين رسول الله صلى الله عليه وآله من تطبيق هذا الأسلوب الصحيح من دعوته!؟

وهل هناك افضل مما فعله رسول اللهصلى الله عليه وآله مع قريش من وضع أبي طالب موضع مؤمن آل فرعون يكتم إيمانه ويمارس دوره الجهادي.

ماذا قال أبو طالب

ان أبا طالب شاعراً عظيماً كرس شعره في سبيل العقيدة والمبدأ، شعره كان بمثابة الصواعق التي نزلت على رؤوس المشركين، شعراً هو اخطر من فضائيات هذا الزمن واخطر من وزارات الاعلام بكاملها إذ كان الشعر في ذلك الزمن هو الاعلام الذي يخشاه الجميع وإذا أظهر أبو طالب كلماته الشاهدة فقد قالها شعراً ودون ان يعطي ذريعة لحمقى قريش بأن يستبعدوه من دائرة التأثير السياسي في مجاميعهم.

ماذا قال الرفيع أبو طالب؟

ويستعرض القرآن بعضاً من أقوال مؤمن آل فرعون حزقيل رغم انه يكتم إيمانه، ونحن نستعرض هنا بعضاً من أقوال أبي طالب والتي تكشف ما بداخله رغم انه يكتم إيمانه، إذ انه يبلغ ما يستطيع رغم أنوف الكافرين بطريقة يحافظ على وضعه داخل مجتمع قريش له كلمته وكيانه وفي المقابل يقول ما يريد قوله في حق النبي والدين فينصر الله ورسوله في السر والعلن، وتستطيع فطنة أبي طالب وعلمه الغزير ان يقوم بهذا الدور افضل قيام ومن يستطيع ان يقوم بهذا الدور غيره في جبهة النبيﷺ؟.

ونستعرض شيئاً مما قاله أبو طالب رضوان الله عليه في معرفته بالله، جاء هذا البيت في قصيدة سنذكره منفرداً ثم نذكره داخل القصيدة:

وظلم نبي جاء يدعو إلى الهدى   وأمر اتى من عند ذي العرش قيم

ألا يعني الإيمان بالنبي والقرآن.

ولنستعرض القصيدة التي جاءت ابان مقاطعة قريش اللئيمة لبني هاشم وتجويعهم ثلاث سنوات ليتركوا النبي طعمة لسيوفهم وذلك بان يزول عن رسول الله درعه الواقي وهو أبو طالب، لكن هيهات إذ قال أبو طالب عليه رضوان الله تعالى:

يرجون منا خطة دون نيلها   ضراب وطعن بالوشيح المقرم
يرجون ان نسخي بقتل محمد   ولم تختضب سمر العوالي من الدم
كذبتم وبيت الله حتى تغلقوا   جماجم تلقى بالحطيم وزمزم
وتقطع ارحام وتنسى حليلة   حليلاً ويغشى محرم بعد محرم
على ما مضى من مقتكم وعقوقكم   وغشيانكم في أمركم كل مأثم
وظلم نبي جاء يدعو إلى الهدى   وأمر أتى من عند ذي العرش قيم
فلا تحسبونا مُسلميه فمثله   إذا كان في قوم فليس بمسلم

ألم يقل أبو طالب في هذه الأبيات اشهد أن لا اله إلا الله وأنه محمد رسول الله، وسوف نترك شرح شعر أبي طالب للقارئ يحكم بنفسه ولكونها كالنور في وضوحها لكل ذي بصر وبصيرة.

وعندما عرضت قريش على النبي الأكرم عن طريق أبي طالب، الدنيا والسلطان والمال لترك رسالته أو المواجهة حتى الموت، نقل أبو طالب الرسالة ثم عاد إليهم بالجواب المحمدي العظيم الذي نقشه النبي في أفق الدهر سرمداً.

الجواب الذي أسر أبا طالب وقهر قريش «والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على ان اترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو اهلك دونه».

وتبتهج روح أبي طالب إذ يمارس دوره بكل نشوة وبهجة الموقن إذ يصرح لنبي الرحمة: اذهب يا ابن أخي فقل ما أحببت فوالله لا أسلمك لشيء أبداً ثم أفضى نوراً ويقيناً وجهاداً إذ قال:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أوسد في التراب دفينا
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة وابشر بذاك وقر فيك عيونا
ودعوتني وعلمت انك ناصحي ولقد صدقت وكنت ثم أمينا
ولقد علمت بان دين محمد من خير أديان البرية دينا

وهل يحتاج هذا الافصاح إلى تعليق أو شرح!!!

ألا تعدل هذه «اشهد أن محمداً رسول الله»

وعندما أساء ابن الزبعري للنبي وآذاه والقى عليه بعض الأوساخ، شكى النبي ذلك لحاميه أبي طالب وقال له من انا؟ انتفض أبو طالب فذهب ولطم ابن الزبعري وتركه ينزف دماً ومر على باقي رفاقه ولطخ لحاهم بالأوساخ ثم أجاب النبي على سؤاله من أناء وقال له:

انت النبي محمد قرم، أغر مسودُ
لمسودين أكارم طابوا وطاب المولدُ

نعـــم الأرومـــة اصـــلها عمـــرو الحطـــيم الاوحـــد[(١)]

هشـم الـربيكة فـي الجفـان وعـــيش مكـــة انكـــدُ

فجـــرت بـــذاك ســـنة فـــيها الخبيـــزة تثـــرد

ولـــنا الســـقاية للحجـــيج بهـــا يمـــات العـــنجد

انـــى تضـــام ولـــم امـــت وانـــا الشـــجاع العـــربد

وبـــنوا أبـــيك كـــأنهم اســـد العـــرين تـــوقدوا

ولقـــد عهـــدتك صـــادقاً بالقـــول لا تتـــزيد

مـــا زلـــت تـــنطق بالصـــواب وانـــت طفـــل امـــرد

وترى أبا طالب يدافع عن المسلمين الذين تعدت عليهم قريش وها هو عثمان بن مضعون[(٢)]، الصحابي الجليل الذي اسلم فوقع تحت تعذيب وتعسف قريش فذهب إليه أبو طالب وانتزعه من براثن المشركين وقال فيه:

امـن تذكـر دهـر غيـر مامـون أصبحت مكتئبا يبكي كمحزون؟

ام مـن تذكـر اقـوام ذوي سفه يغشـون بالظلم من يدعوا إلى الدين

الا تـــرون اذل الله جمعكـــم انـا غضـبنا لعـثمان ابـن مضـعون

ونمنح الضـيم من يبقى مضيمتنا بكـل مطـرود فـي الكف مسنون

ومـرهفات، كأن الملح خالطها يشـفي بها الداء من هام المجانين

حتـى تقـر رجـال لا حلوم لها بعـد الصـلابة بالاسـماع واللـين

---

(١) وهو جد النبي عمروا بن صناف (هاشم) لانه يهشم الخبز ويطعم.

(٢) صحابي جليل ذو شأن وقبره يقع في البقيع رضوان الله عليه.

أو تؤمنوا بكتاب منزل عجب ‏ ‏ ‏ ‏ على نبي كموسى أو كذى النون

وأشير هنا إلى البيت الأخير وكأن أبا طالب يحاكي ما جاء في القرآن الكريم على لسان حزقيل إذ قال لفرعون وقوم، وفرعون يذكرهم بالأمم السابقة ﴿**مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ**﴾[1].

وهذا منتهى الإيمان بالفكر السماوي.

وهكذا خاطب أبو طالب عليه السلام ملك الحبشة النجاشي بعد ان هاجر إليه جعفر بن أبي طالب ليحتمي به من بطش قريش فأرسل إليه بهذه الرسالة الشعرية:

تعلم مليك الحبش ان محمدا ‏ ‏ ‏ ‏ نبي كموسى، والمسيح ابن مريم

اتى بالهدى مثل الذي اتيا به ‏ ‏ ‏ ‏ فكل بأمر الله يهدي لمعصم

وانكم تتلونه في كتابكم ‏ ‏ ‏ ‏ بصدق حديث، لا حديث المرجم

فلا تجعلوا لله نداً واسلموا ‏ ‏ ‏ ‏ فإن طريق الحق ليس بمظلم

وانك ما تأتيك منا عصابة ‏ ‏ ‏ ‏ لقصدك، إلا ارجعوا بالتكرم

الم يقل أبو طالب في هذه الأبيات (اشهد ان محمداً رسول الله) وكذلك قال في قصيدة أخرى:

الم تعلموا انا وجدنا ‏ ‏ ‏ ‏ نبيناً كموسى، خط في اول الكتب

وان عليه في العباد محبة ‏ ‏ ‏ ‏ ولا حيف فيمن خصه الله بالحبِ

---

(١) سورة غافر: ٣١.

وان الـذي رقشـتم فـي كـتابكم يكـون لكـم يوماً كراغية السغب

افـيقوا، افيقوا قبل ان تحفز الربى ويصبح من لم يجن ذنباً، كذى ذنب

ولا تتـبعوا أمـر الغـواة وتقطعـوا أواصـرنا بعـد المـودة والقـرب

وتسـتجلبوا حـربا عـوانا وربمـا امر، على من ذاقه حلب الحرب

فلسـنا وبـيت الله، نسـلم احمـداً لغـراء من عض الزمان ولا كرب

ولسـنا نمـل الحـرب حتـى تملـنا ولا نشتكي مما ينوب من النكب

وهـا هـو يفـدي النبـي بـروحه ويوصي غيره من عشيرته بالنبي حرصاً عليه مـن الخـذلان فمـرة يطلـب مـن ابـنه عليعليه السلام الصبر عندما ينام الإمام علـيعليه السلام مكـان النبـيصلى الله عليه وآله فـي شعب أبي طالب، إذ قال عليعليه السلام: يا أبت إني مقتول.

اصـبرن يـا بنـي، فالصـبر احجـى كـل حـي مصـيره لشـعوب[1]

قــد بذلــناك والــبلاء شــديد لفــداء الحبـيب وابــن الحبـيب

إن تصـبك المـنون فالنـبل تبـرى فمصــيب مــنها وغيـر مصـيب

كـل حـي وإن تحلـى بعمـرٍ اخــذ مــن مــذاقها بنصــيب

ويجيبه الإمام عليعليه السلام بما يفتخر به كل مؤمن قد عشق النبي:

اتأمرنـي بالصـبر فـي نصـر أحمد ووالله مـا قلـت الـذي قلـت جازعـاً

ولكننـي احبـبت ان ترى نصرتي وتعلـم انـي لـم ازل لـك طائعـاً

---

(١) علم المنية.

سأسعى لوجه الله في نصر احمد ... نبي الهدى المحمود طفلاً ويافعاً[(١)]

ومرة يوصي بني هاشم إذ يقول من درر الشعر ما ينبغي أن يكتب على جبين التاريخ شاهداً على عظمة أبي طالب وحبه وتفانيه في نصرة النبي صلى الله عليه وآله:

اوصي بنصر نبي الخير أربعة ... ابني علياً وعمّ الخير عباسا

وحمزة الأسد المخشيَّ صولته ... وجعفراً، أن تذودا دونه الناسا

كونوا - فداء لكم امي وما ولدت- ... في نصر احمد، دون الناس اتراسا

بكل أبيض مصقول عوارضه ... تخاله في سواد الليل مقباسا

وقال في التوحيد:

مليك الناس ليس له شريكُ ... هو الوهاب والمبدئ المعيدُ

ومن تحت السماء له بحق ... ومن فوق السماء له عبيدُ[(٢)]

ويقول:

يا شاهد الله، علي فاشهد ... اني على دين النبي أحمد

من ضل في الدين فاني مهتدي[(٣)]

---

(١)نهج البلاغة للحديدي: ج٣، ص ٣١٠.

(٢) ديوان أبي طالب، ص ١١، شيخ الابطح: ص ٨٥

(٣) شيخ الابطح: ص ٨٠

وقال:

أعوذ برب البيت من كل طاعن | علينا بسوءٍ أو يلوح بباطل
كذبتم وبيت الله يُبزي[1] محمداً | ولما نطاعن دونه ونناضل
ونسلمه حتى نصرّع حوله | ونذهل عن ابنائنا والحلائلِ
وإنا - وبيت الله - ان جد ما ارى | لتلتبس اسيافنا بالاماثلِ
بكل فتى مثل الشهاب سميدع | اخي ثقة عند الحفيظ باسل
وابيض يستقى الغمام بوجهه | ثمال اليتامى عصمة للارامل
يلوذ به الهلاك من آل هاشم | فهم عنده في نعمة وفواضلِ
الم تعلموا ان ابننا لا مكذب | لدينا ولا نعبأ بقول الاباطلِ
لعمري لقد كلفت وجداً باحمد | واحببته حب الحبيب المواصل
وجدت بنفسي دونه فحميته | ودافعت عنه بالذرى الكواهلِ
فلا زال للدنيا جمالاً لاهلها | وشيئاً لمن عادى وزين المحافلِ
فمن مثله في الناس أي مؤمل | اذا قاسه الحكام عند التفاضل
حليم رشيد عادل غير طائش | يوالي إلهاً ليس عنه بغافلِ
وايده رب العباد بنصره | وأظهر ديناً حقه غير باطلِ

ويوجه مرة اخيه حمزة لنصر الدين فيقول له:

فصبراً أبا يعلي على دين احمد | وعن مظهراً للدين وفقت صابراً
وحط من اتى بالحق من عند ربه | بصدق وعزم لا تكن حمزة كافرا

---

(١) يُبزى: أي يقهر ويُغلب. النهاية في غريب الحديث والاثر، ج١، ص١٢٥.

فقـد سـرني إذ قلـت انـك مـؤمن   فكـن لرسـول الله فـي الله ناصـرا

ونـاد قـريش بالـذي قـد أتيـته   جهـاداً، وقل ما كان احمد ساحرا

نكتفـي بهذا القدر من أشعار أبي طالب عليه السلام ومن أراد الاستزادة فعليه بالرجوع إلى ديوان أبي طالب ليعرف هذا العملاق اكثر فاكثر.

ثمرة الكلام

ان رسول الله ﷺ عندما دعا الناس للاسلام كان الناس يبحثون في صدق دعوته هل هو صادق وعلى الحق فيتبعونه أم ان دعوته باطلة فيجتذبونه وخصوصاً لمن لا يعرفون النبي عن قرب ولكن بعد ان ثبت عند الناس - القريب منهم والبعيد- صدق دعوته تغيرت المعادلة فبعد ان كان السؤال هل محمد نبي أم لا؟! اصبح السؤال «هل صدقه فلان فهو مؤمن أم كذّبه فهو كافر»، وهكذا الحال بالنسبة إلى أبي طالب فبه نعرف المؤمن من المنافق، فليس السؤال ان أبا طالب مسلم أم كافر والعياذ بالله بل السؤال من الذي تجرأ على أبي طالب فهو الذي تكون عليه علامة الاستفهام ويدور حوله السؤال؟ وهو الذي يخرج من دائرة المؤمنين ويجب ان نحذر منه واذا كانت تضمه دائرة فيجب ان نحذر من هذه الدائرة التي تضمه ونتهمها هي، وهذا مصداق للحديث الذي يقول: (مَن كفرّ مسلماً فقد كفر) وهكذا من يتهم رسول الله بالكذب فهو الكاذب مهما أتانا بأدلة وبراهين ومن قال ان رسول الله ذو خلق سيء فقد كذب، فعندما يتهم زيد رسول الله بأي تهمة وإن كان زيداً صادقاً فإن اعتقادنا بأن زيداً صادق هو الخطاء الكبير. الذي يجب ان نخشاه ونعيد النظر فيه وفيمن

ينتمي إليه، فعندما يقول لنا إنسان عادي ودون العادي بأني مسلماً فلا يحق لأي شخص بأن يقول له انك غير مسلم هذه هي القاعدة وان كان هذا الشخص فاسقاً فاجراً فلا يحق لأحد بأن يكفره فكيف إذا كان هذا الشخص هو العملاق أبو طالب عم رسول الله حامي وناصر العقيدة من الضياع والذي له حق على كل مسلم في هذا العالم فلولاه لما انتصر الدين ولقتلت الدعوة في مهدها.

فأبو طالب بعيد كل البعد عن كل هذا الروايات الموضوعة والكاذبة وهو فوق كل الشبهات فهو أعلى من ذلك بكثير ويكفي ان نعرف مكانته الحقيقية من أهل البيت الكرام فأهل البيت بلا استثناء ومواليهم واتباعهم بلا استثناء يجلون أبا طالب أيما إجلال ويضعونه حيث يستحق من الإيمان وسمو المنزلة عند الله ورسوله، ثم يكفي ان نعرف أيضا ان كل من اتهمه هو مبغض لأهل البيت أو بعيداً عنهم أو ممن في نفسه شيء على آل رسولﷺ طلباً لحطام الدنيا الدنية.

نعم فمن يتهم أبا طالبعليه السلام هو الكاذب.

وأنت أيها القارئ إن أردت النجاة فإياك أن تخالف رسول الله وتترك عترته فتكون من الهالكين؛ لأنهﷺ قال:« ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً»[1] لأنك إن أخذت كتاب الله وتركت عترة رسول الله ضللت لا

---

(١) بحار الأنوار، ج٣، ص١٢٢.

محالـة وهـا هـم مـن تـركوا العترة الطاهرة هم من كفرّ عم رسول الله ناصره وحاميه، وآذوا بذلك رسوله حتى بعد وفاته كما آذاه الكثير في حياته؛ لأن رسـول الله حـي يسـمع ويـرى بقـدرة الله ﴿أَحْـيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[1] ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[2].

واعلـم أيهـا القـارئ انـك لـو اتـبعت عتـرة رسـول الله فلن تجد نفسك تعتقد ان أبـا طالـب كافـر والعـياذ بـالله بل ستجد نفسك معتقداً به كما كأن رسـول الله وأهل بيته يعتقدون به وتسر بذلك نبيك، فأبو طالب مقياس للحق وهكـذا قـال الله لعمـار: «يا عمار تقتلك الفئة الباغية»[3] ورغم ذلك تجد فئة مـن المسـلمين تضـرب هـذا الحديث عرض الحائط وكأن رسول الله ما قال هـذا الحديث وكأن لم يكن، كن فطناً أيها القارئ واعلم ان الفئة التي تكفر أبا طالب هي الفئة المجانبة للصواب.

نعـم فأبـو طالـب فـي ظلام الليل مقياس يُقاس به الحق من الباطل وما اكثـر الإشـارات والـدلائل لـك أيهـا المسلم لاتباع الحق وكلها تكون عليك حججاً دامغة عليك يوم القيامة.

انتـبه واتـبع آل رسـول الله تنجو وتربح «اني تارك فيكم الثقلين كتاب

---

(١) سورة آل عمران: ١٦٩.

(٢) سورة التوبة: ٦١.

(٣) أسد الغابة، ج٣، ص ٦٣٠.

هكذا ورد عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: أبشر يا عمار تقتلك الفئة الباغية.

الله وعترتي أهل بيتي ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً».

وهذا أبو طالب يعين على اتباع الحق حتى يومنا هذا كما كان في عهد رسول الله فالفتنة التي وقع فيها كثير من المسلمين بتكفيره هل إشارة وتنبيه لهم كي يتركوا الجادة الخاطئة ويرجعوا إلى جادة أهل البيت.

نعم فمن يتهم أبا طالب هو الكاذب لا محاله، شخصاً واحداً أو مليوناً أو مائة مليار؛ لأن الحق لا يرتبط بالعدد ألم يقل الرسول ﷺ يا عمار لو سلك الناس وادياً وسلك علي وادياً فاسلك الوادي الذي سلكه علي»[1].

انظر أيها القارئ شخص وقف مقابل العالم كله، لان الحق حق وان تركه كل الناس، والباطل باطل وان اتبعه كل الناس، فما علينا غير اتباع وصايا الرسول ﷺ وهي التي توصلنا للحق، «اتبع كلام رسول الله ﷺ تنجو»، أهل البيت هم سفينة النجاة اثنا عشر خليفة كلهم من قريش ثم إذا ركبت السفينة فسترى عجباً من النور، ابحث عنهم من الآن.

وهذا رسول الله ﷺ يرشدك والحديث من الصواعق في باب فضائل أهل البيت، قال رسول الله ﷺ: «**في كل خلف من أمتي عدول من أهل بيتي ينفون عن هذا الدين تحريف الضالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين ألا وإن أئمتكم وفدكم إلى الله عز وجل فانظروا من توفدون**».

وقال رسول ﷺ عن الطبراني: «**إني تارك فيكم كتاب الله وأهل**

---

(١) البداية والنهاية، ج٧، ص٣٠٦.

بيتـي.... فـلا تقدمـوهما فتهلكوا ولا تقصروا عنهما فتهلكوا ولا تعلموهم فإنهم اعلم منكم».

وطـريق أهـل البـيت واضـح وهـو الـنهج الـذي وضـعه الإمـام جعفـر الصادق عليه السلام عن آبائه عن رسول الله صلى الله عليه وآله اللهم بلغت اللهم فاشهد.

تم بحمد الله تعالى

الكويت ١/ ذو القعدة ١٤٢٩

٢٠٠٨/١٠/٢١

المصادر

- الصواعق المحرقة لابن حجر.
- مستدرك الصحيحين.
- البداية والنهاية.
- تاريخ ابن كثير.
- تفسير الرازي.
- تفسير البغدادي.
- ذخائر للطبري.
- الغدير للأميني.
- علي في القرآن للسيد صادق الشيرازي.
- شواهد التنزيل.
- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد.
- شرح نهج البلاغة لمحمد عبده.
- تفسير البرهان للبحراني.
- تفسير السيوطي.
- صحيح البخاري.
- صحيح مسلم.

- مسند أحمد.
- صحيح الترمذي.
- سير أعلام النبلاء.
- العقد الفريد.
- مستدرك الحاكم.
- ينابيع المودة للقندوزي.

فهرس الكتاب